



كتاب

تنبيه الافهام الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام

تأليف

رفيق بك العظم

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر)

(سنة ١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على نبيّ الرحمة . وهادي الامة . سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الصادقين . (أما بعد) فقد كنت كتبت فى مجلة الموسوعات الغراء فى سنتها الثانية مقالات خمس تحت عنوان (مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام) استقصيت فيها بعض مزايا هذا الدين . التى كانت سببا لاعلاء شأن المسلمين . أمداً مديداً من السنين . ووعدت ثمة باستيفاء البحث وتتبع مصادر العلل التى طرءت بعد على المسلمين وأنستهم هدى الاسلام . وفعلت بهم فعل المخدر فى العقول والاجسام ولما رأيت أن لا مندوحة لى عن التوسع فى البحث توسعا ربما تضيق عنه صفحات الموسوعات الغراء خطر لى ان أتم سلسلة المقالات وأجمعها فى كتاب واحد تتم فائدته ويسهل تناوله على الكافة وقد كان وبلغت المقالات تسعا جمعتها فى هذا الكتاب وحرصا على عنوان المقالات الخمس التى نشرت فى الموسوعات الغراء سميته (تنبيه الافهام الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام) وانا وان تحريت فى المقالات الاربع الاخيرة منه بيان الحقيقة فى مصادر التدني وعلة العلل التى طرأت بعد على المسلمين ولكن لاأدعى العصمة أو بلوغ الغاية فى الاستقصاء . سيما وانها علل احتار فى شفائها الاطباء . واختلف فى تشخيص أعراضها الحكماء . وإنما هو فكر أوصلني اليه طول معاناة البحث فى حال الاسلام والمسلمين فان أخطأت فى كله فارجو ان أصيب بالبعض وان قصرت فى الاستقصاء فغيري أقدر على التتبع من أفاضل الامة الحكماء والله وليّ العناية والتوفيق

المقالة الاولى

قناعة الانسان بساطة المعيشة عند كونه في أبسط حالات الاجتماع • ترقى أحوال معاشه بترقيه • تشعب طرق المتاعب الحيوية بتشعب طرق الحاجة • ازدياد الشقاء على الطبقة النازلة من الناس بازدياد التزاحم العقدة المسماة فى عرض علماء العمران مسألة شقاء العمال • الاشتراكيون ومذهبهم فيها • الفوضويون ومذهبهم فيها • العدميون ومذهبهم فيها • الدينيون ومذهبهم فيها • الاستقلاليون ومذهبهم فيها • الاشارة الى لزوم التوفيق بين هذه المذاهب • الاسلام وانه جاء بالتوفيق بين مطالب الحياة الاجتماعية على وجه عادل يمنع تصادم كل مطالب بسواه • اشتراك السعادة بين هذه المطالب • قصور فلاسفة هذا العصر عن التوفيق بين هذه المطالب • سبق الاسلام لكل ما بحث فيه فلاسفة العصر من مطالب الحياة وانه دين العقل • الكلام على مطلب الاشتراك فى الاسلام • اعتبار الاسلام ان العمل هو رأس مال كل انسان بمفرده • تقرير الاسلام لقاعدة التفاضل بالعمل والعلم • تقسيم الاسلام الثروة الى حق ثابت هو الملك وحق مشترك هو الثمرة • أول من ناقش لاجل حق الاشتراك فى الاسلام أبو ذر • الفيء ومعناه وكيفية تقسيمه • الزكاة وانها من الحقوق المشتركة وانها ركن هدمه تعطيل للدين

من البديهى ان الانسان يقنع بأبسط حال من المعيشة لما يكون فى أبسط حالات الاجتماع ولا تزال تترقى عنده أحوال المعاش كلما ترقى في سلم الاجتماع وتسنم ذري المدنية حتى يبلغ بكلا الامرين أقصي مرامى الغرض ومن ثم تتشعب لديه طرق المقاصد فى تطلب سعادة الحياة تشعبا يظهر فى بادئ الامر انه مفيد فى الايصال الى غاية واحدة من طرق شتى أيها سلك انتهى الى المقصود والحقيقة بخلاف ذلك لان تشعب هذه الطرق انما ينشأ عن زيادة الحاجة الاجتماعية لاسباب الرفاه • وكلما ازدادت هذه الحاجة ازداد

الزاحم بين طبقات الناس فتزداد العوائق دون الوصول الى المقاصد فتنقلب تلك السعادة المقصودة شقاء على الطبقات النازلة من الناس لقعودهم عن مجارات غيرهم فى مضمار المزاحمة الدنيوية وعجزهم عن مبارات ذوى اليسار والقوة فى الهيئة الاجتماعية وفى هذا من خطر تسلط الكبير على الصغير واستئثار القوى بالمنافع دون الضعيف ما فيه من امتهان نواميس العدل القاضى بتشويش نظام الاجتماع

وهذه هي العقدة العظيمة المتجلية باجلى مظاهرها فى أوربا بهذا العصر المسماة فى عرف علماء العمران المسألة الاجتماعية أو مسألة شقاء العمال التى تولد عنها من المشاكل ما جعل الناس هناك يفترقون فى دائها الي فرق يذهب كل فريق منهم مذهبا يخالف الآخر

فـفريق منهم وهم الاشتراكيون يرون ان سبب ذلك الشقاء هم افراد الاغنياء لاستئثارهم برأس المال أو بالثروة وان هذه الثروة هى نتيجة عمل المجموع فينبغى ان توزع على المجموع . ويتوسلون الي حل هذه المسئلة الاجتماعية على تلك الكيفية بنشر تعاليمهم بين الطبقة النازلة من الناس ليعم مذهبهم هذا فيكون هو الغالب وأهله هم الاكثرون فينشؤون بحكم الاكثرية الغالبة حكومة جديدة هي الجميع وتتكفل باسعاد الجميع بان تقسم نواتج الثروة العامة بين الافراد على السواء ولهم فى هذا الباب آراء بلغت الغاية من الخبط والتعقيد لاندرى كيف تؤدى الى تلك السعادة الموهومة من هذا الطريق الوعر

وفريق منهم وهم الفوضويون يرون ما يراه الاشتراكيون أيضاً أوهم اشتراكيون لكنهم ثورويين يريدون التوصل الى تلك السعادة فى القريب العاجل بقلب نظام الحكومات من طريق الثورة

وفريق منهم وهم العدميون يرون انكار كل شيء في الوجود وان لا سعادة للكل الا بعدم الكل

وفريق منهم وهم الدينيون يرون ان المؤثر الادبي أو تربية النفوس على الرضا بالحرمان وتطهير الوجدان من شوائب حب الذات يؤدي الى السعادة وربما يريدون بهذه السعادة المعيشة الروحانية

وفريق منهم يرى ان السعادة منوطة بالكد والعمل وان كل فرد قادر في نفسه على العمل متى علم منها هذه القدرة وتربى على مبدإ الاستقلال الذاتي أي بان يكون أمة في ذاته لا يعتمد على سواه فمتى ربيت الطبقة النازلة على ذلك المبدإ امكنها الحصول على سعادة الحياة من طريق العمل فتكون على جانب من السعة ورفاه العيش مهما قل بالنسبة للطبقة العالية فانه لا يكون شقاء بل سعادة بالاضافة للطبقة النازلة

هذا اجمال ماذهب اليه أولئك الفرق في حل مايسمونه المسألة الاجتماعية وربما وجد هناك مذاهب أخرى ترى غير مايراه هؤلاء أو تتحد مع بعضهم بالاصول وتفترق ببعض الفروع . والمذهب السائد الآن في أوربا هو مذهب الاشتراكيين بفروعه . وكله موجه الى هدم أساس الاجتماع الحاضر واستبداله بسواه (١)

وبالجملة فليس غرضنا من ايراد هذه المقدمة بيان أوجه الخطا والصواب في هذه المذاهب أو استنكار تعدد المذاهب والاقوال في مثل هذه الحال فان مطالب الحياة الاجتماعية اكثر من ان تعدد والخطا والصواب ملازم

(١) راجع كتاب سر تقدم الانكليز السكسنيين تعريب العالم الفاضل احمد بك فتحي زغلول ففيه البيان الكافي من هذا القبيل

للانسان والعصمة لله وحده بل القصد بيان ماوصل اليه العالم المتمدن من الارتباك بنتائج رقيه العظيم وعجز عقلائه عن التوفيق بين هذه المطالب وردها الى حد العدل الذى يمنع تصادم المقاصد وتناكر أربابها لا لقصد الوصول الى اعتماد واحد منها أساساً للسعادة . فهذا أبعد مما يتصوره كل فريق من أهل تلك المذاهب ورواد هذه المطالب لان قيام البشر بالاشتراك (وحده مثلا البالغ منتهى الطمع بتساوي سائر الطبقات بالسعادة) يمتنع كما يمتنع قيامهم بالحرمان وقناعتهم بتطهير الوجدان بل القصد جعل كل مطلب فى ذاته اذا وقف عند حد العدل مقبولا لدى العقل سهلا على النفوس يوصل كغيره الى طريق السعادة دون ان يصادم سواه مصادمة يريد بها التغلب على ماعداه ومن ثم تكون السعادة مشتركة بين هذه المطالب وهي فى الحقيقة كذلك اذا كان هناك قانون شامل يحدد منافعها ويمنع مضارها اذ مطلب الاشتراك نافع اذا وقف عند حد معقول ولا يلزم من نفعه عدم نفع المؤثر الادبي أو الاستغناء عنه كما ان مطلب الاستقلال الذاتى نافع كذلك ولا يلزم من نفعه عدم نفع التكافل أو الاستغناء عنه

ومما يدل على ضعف الانسان وعدم قدرته فى كثير من الاحيان على امساك الارادة عن الاندفاع مع كل هوى يطيب للنفس قصور فلاسفة هذا العصر البالغ منتهى مايرمي اليه الحس من مظاهر الترقى فى المعارف والعلم عن درك حقيقة الحاجة الاجتماعية القاضية بالتوفيق بين مطالب الحياة الاجتماعية ورغائب المدنية التى هى مصادر السعادة الحسية والمعنوية وحصر كل فريق منهم تلك السعادة بمطلب مخصوص لايشاركه فيه سواه ولايخال السعادة الا فيه كالاشتراكية وما تفرع عنها والاستقلال الذاتى والمؤثر

الادبي والتكافل الى غير ذلك من مطالب السعادة وأبت السعادة أن تكون الا من الله وأن يكون القانون الجامع لمطالب الحياة المادية والمعنوية الا ما أنزل الله (ولو كره المبطلون)

اشتغل علماء العمران وفلاسفة العصر فى أوربا بالبحث والتنقيب عن حل لما يسمونه المسئلة الاجتماعية (وسميناها مطالب الحياة الاجتماعية) توصلا لدفع الشقاء عن طبقة العمال ونوال السعادة العامة الشاملة التى يتساوى بنعمة التمتع بها سائر الطبقات فأداهم طول البحث الى ما رأيت من ذهابهم كل مذهب في هذا الحل * وقرر كل فريق منهم فى مذهبه بعد معانات النصب والوصب ما أوصله اليه ذلك البحث والتنقيب وهم مع كل ذلك العناء لم يقرروا شيئاً مما قرروه وكان فيه اثر من الصواب الا سبقهم اليه الاسلام وقرره على ابدع ترتيب ونظام فجمع ما اختلفوا فيه من المذاهب ووفق بين ما تناكر من المطالب فجعل لكل مطالب حداً هو الاعتدال وغاية هى السعادة حتى حق ان يسمى الاسلام دين العقل الذى تقوم به قوانين العمران وتناط به سعادة الانسان

ونحن نأتى لهم بما جاء به القرآن الكريم . ونبه عليه هذا الدين القويم من انواع السعادة ومناطها من المطالب المقابلة لما قرره اولئك الباحثون تبصرة وذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد * ونبدأ من ذلك بالمطلب الأول الذى يسمونه الاشتراك لأهمية انتشار مذهب القائلين به فى الممالك المتمدنة فى هذا العصر * ثم نذكر بعده ما يقابل بقية المطالب التى تناولها البحث عند علماء أوربا ومالم يتناوله بعد فنقول

تبين لنا مما سبق بيانه عن مذهب الاشتراكيين ان هؤلاء يرون ان

الشقاء الذى يتخلل هيئة الاجتماع الاوربى مصدره افراد الاغنياء المستأثرين بالثروة العامة التى هى على رأيهم ثمرة عمل العمال من الطبقة النازلة وان الطريق لدفع هذا الشقاء.. وان يكون الناس كلهم سعداء.. هو تقسيم العمل وثمرته بيد الحكومة على الجميع بالسواء.. ولهم فى كيفية ذلك التقسيم طرق تكاد لاتسلك ومذاهب لاتنتهى فى نظر العقل السليم الا بوقوف حركة العمل مادام الناس كلهم أغنياء والاغنياء كلهم عمالا

وأما ماأتى به الاسلام فى مقابل هذا المطلب فكان على وجه يؤدى الى دفع شقاء العوز عن الطبقة النازلة دون أن يمس باستقلال العمل لاعتباره أن العمل هو رأس مال كل انسان بمفرده أو هو مناط سعادة كل فرد فى نفسه وان تمتعه بثمرة العمل يكون بنسبة العمل نفسه والا فلو استوى الجاهل مع العالم والبليد مع النشيط فى اجتناء ثمرة العمل لانمحت آية التفاضل من صفحات الوجود وشعر كل انسان فى نفسه بضعف الامل لانه انما يعمل ولكن لغيره ويغرس ولكن ليجنى سواه فمن ثم تقعد به الهمة عن اجهاد القوى العاقلة فيما لايجنى من ثمرته الا الحرمان ولا يرجح بفضيلة عمله على اجهل انسان وفى هذا من العبث بسنن الوجود الطبيعية مايفضى الى تعطيل حركة العقل وايقاف وظائف الحياة المدنية المتوزعة على الناس بنسبة تفاوتهم فى مراتب العلم والى هذه السنن وردت الاشارة فى القرآن الكريم بقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وبقوله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وبقوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى)

ومع مراعاة الاسلام لهذه المبادى السامية فانه دفعا لما عساه يصيب

الطبقة النازلة من الناس من الشقاء بسبب الونى والعجز عن مجاراة الطبقة العالية أو بسبب استئثار الاغنياء بالمال والتكاثر به دون الفقراء فقد اعتبر أن كل ما يملك فيكون ثروة تتداولها الاغنياء من متاع أو عقار له اصل هو حق المالك لا يشاركه فيه سواه وثمرة هي حقه وحق المسلمين يفرض عليه اداء قسم منها ينتفعون به اما بأن يوزع عليهم سهاماً معلومة واما بأن يصرف فى مصالحهم عامة وفيها اعالة ذوي البأساء منهم . وهذا الحكم مأخوذ من قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) أى كى لا يكون الفيء دولة وجداً بين الاغنياء خاصة يتكاثرون به ويتعاورونه فلا يصيب أحداً من الفقراء كما فى كتب التفسير

ومن قوله تعالى (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) أى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقرباً الى الله تعالى و إشفاقاً على الناس كما فى كتب التفسير أيضاً

واجمال ما جاء فى كتب الشريعة من بيان الحكم فى الآية الأولى ان الفيء ما نيل من المحارب بعد وضع الحرب أوزارها وصيرورة داره دار اسلام وهو الجزية وعشر التجارة وما يصالح عليه من المال . وحكمه أن يكون لكافة المسلمين * وللأئمة والمفسرين فى بيان تفصيل الحكم كلام طويل يرجع اليه من شاء . غاية الامر انهم اختلفوا فى خمس النبي صلى الله عليه وسلم هل يوزع على المسلمين عامتهم أم على بني هاشم أم يناط أمره بالخلفاء والاكثر منهم على انه يوزع على المسلمين لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (مالي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود عليكم) وكان عليه

الصلاة والسلام يصرف خمسه فى مصالح المسلمين واختلفوا فى هل يكون الفيء للمقاتلين خاصة أم لسائر الناس والذى صح أن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم كانوا يعتبرونه لكافة المسلمين يستوي فيه المقاتلون وغير المقاتلين ولعله باعتبار ان القتال فريضة على كل المسلمين فكلهم داخل تحت ذلك الحكم والذى يؤيد انه لكافة المسلمين ان أبا ذر رضى الله تعالى عنه لما كان بالشام والوالي عليها من قبل الخليفة عثمان معاوية رضى الله تعالى عنهما ورأى من معاوية مايشعر بحرصه على ادخار المال فى بيت المال لصرفه فى وجوه المصالح التى يراها للمسلمين وكان أبو ذر مشهوراً بالورع شديد الحرص على حقوق المسلمين يقول الحق ولو على نفسه . أخذ يتكلم بهذا الأمر بين الناس واتخذ له حزباً من أهل الشام يساعده على مطالبة معاوية برد المال للمسلمين وبيان عدم الرضا بكنزه فى بيت المال لأى حال من الاحوال إلا لتوزيعه على كافة المسلمين لاشتراكهم بما أفاء الله عليهم أجمعين وتابعه على قوله جماعة كثيرون كانوا يجتمعون لهذا القصد سراً وجهراً حتى كادت تكون فتنة فشكاه معاوية الى الخليفة عثمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين فنفاه الى الربذة خوفاً من حدوث مالا تحمد عقباه

فهذا حكم الفيء فى الاسلام وهو كما علمت من ثمرة رأس المال الذى هو أصل فى الثروة وحكمه البقاء لصاحبه وحكم الثمرة الانتفاع بالاشتراك واما ان المصلحة قضت بماذهب اليه بعض أئمة المسلمين بعد من وجوب صرفه على مصالح المسلمين كسد الثغور واقامة الحصون وتشييد الملاجئ والمدارس ونحوه استدلالا ببعض الآثار والاخبار فهذا لايمنع من الرجوع الى مثل ماكان يراه ابو ذر رضى الله تعالى عنه مادام يوجد فى وجوه الجباية

الشرعية الاخرى كالخراج والعشر ما يقوم بحاجات الصرف فى مصالح المسلمين من جهة ما يقوم به أمر الملك وتنتظم شؤون الاجماع ولو فرض امتناع ذلك لما انتفت مزية هذا الحكم لوجود مثلها فى الآية الثانية وهى قوله تعالى (والذين فى أموالهم) الآية فحكم هذه الآية كحكم تلك من حيث اعتبار الثمرة مشتركة بين المؤمنين اشتراكا لامناص منه لطبقة الاغنياء فى مواساة من دونهم بحق معين من مالهم يعطى للمسلمين . وهذا أيضاً غير نصاب الزكاة المتعين عليهم فى غير هذه الآية (١)

ورب معترض يقول ما دامت شرائع الاسلام وقوانينه على الوجه الذى ذكرت فلماذا لم نر لها أثراً الآن على المسلمين . فالجواب عن ذلك ان كلامنا انما كان على الاسلام لا على المسلمين فانهم فرطوا والمفرط أولى بالخسارة

هذا منتهى ما يرضاه العقل فى جعل العمل مستقلا والثمرة مشتركة على وجه لا يعبث بقانون التفاضل الباعث على المسابقة فى ميدان العمل والعلم ويكون الناس به سعداء لا ترى الطبقة النازلة منهم أثراً لما تعانيه هذه الطبقة

(١) لايخفى ان الزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة وقد قاتل عليه أبوبكر رضى الله تعالى عنه أهل الردة وسماهم الصحابة أهل الردة وقاتلوهم قتال المرتدين لاعتبارهم في نظر الشرع مرتدين بتركهم ركناً من أركان الاسلام وأنت ترى الآن أن هذا الركن قد تهدم عند المسلمين والذي هدمه انما هم بعض فقهاء الدين بوضع حيلة يزعمون انها تبرئ ذمة صاحب المال من أداء الزكاة عنه وهى أن يهب ماله عند ما يحول الحول الى شخص آخر ثم يستوهبه ثانية منه ويالها من حيلة لم يكف صاحبها الاثم بترك ركن من أركان الاسلام حتي اجترح اثماً آخر وهو اثم الاحتيال على دين الله القويم الذي يبرء الى الله ممن يتنكب طريقه المستقيم ويحكم فيه بعقله السقيم

فى أوربا من الشقاء وان هذا مما ترمى اليه مقاصد الاشتراكيين فى هذا العصر من اعتبار العمل أصلا لرأس المال أو الثروة العامة ووجوب الاشتراك برأس المال هذا وثمرته معاً وهو من الخبط والعسف فى الغاية التى تشبه أن تكون مقاومة محضة لنواميس الاجتماع الطبيعية يراد بها القضاء على المدنية وشقاء البشر لاسعادتهم والله بالعاقبة عليم

المقالة الثانية

لابد مع السعي من ارادة • فعال التربية الفاسدة فى نزع الارادة • تأثيرها الظاهر على من كان يخاطبهم الرسول بالهدى • الاسلام واطلاقه للارادة من رق السيطرة الكاذبة • تقسيم الرزق على الناس بنسبة الاعمال والصناعات • تحريض الله خلقه على تحمل مشقة السعي لاستخلاف الصابرين منهم فى الارض • وجوب معرفة كل شخص ذي ارادة ان لله سنناً سنها للخلق لايتيسر بدونها دفع الشقاء وجلب السعادة • ما يترتب على وجود الارادة من فهم كل انسان انه مستقل في عمله مسؤول عنه دون سواه • الاسلام وانه جاء داعياً الى استقلال الفكر • وبهذا رفع الامم العربية من حضيض الجهل الى ذوى الكمال وملكهم ما شاء من الارض • انبعاث همة المسلمين الى الاستعمار والاتحاد فى اطراف الارض • شوارد حكم مأثورة عن رجال الاسلام تدل على ما كان عند العرب المسلمين من استقلال الاراده والفكر • الفرق بين مبدء الاستقلال الذاتي عند العرب وبينه عند الانكليز السكسونيين • التوفيق بين مبدء الاشتراك ومبدء الاستقلال الذاتي

قلنا فى المقالة السالفة ان الاسلام قرر ان العمل مستقل عن الثمرة لاعتباره إياه أنه رأس مال كل انسان بمفرده أوهو مناط سعادة كل فرد فى نفسه وان تمتعه بثمرة العمل يكون بنسبة العمل ذاته واليه يشير قوله تعالى

(وأن ليس للانسان الا ماسعى) ومن المقرر ان السعي يثمر ثمرته المطلوبة متى كان صاحبه انساناً كاملا ذا ارادة تبعث فى نفسه القدرة على العمل والانسان وان كان مستعداً بالفطرة لهذا الكمال إلا ان لمبدأ التربية الفاسدة سلطاناً قاهراً على النفوس يأخذ بأعنتها اذا شاء الى جانب النقص وقد فعل بكثير من الامم . مالا تفعله البيض بالامم . ولما جاء الاسلام كان لسلطان تلك التربية سلطة نافذة على العقول والافكار آخذة بمجامع القلوب بما لم تبق معه أثراً للارادة يدفع الشخص الى العمل بما يكفل له حظاً سامياً من الحياة سادّة على الهمم سبل المسابقة بما اختطته للناس من الحدود المحاطة بسلاسل السيطرة الجائرة على النفوس والاشخاص . يدلنا على هذا قوله تعالى فى أمثال اولئك الاشخاص الذين كان يخاطبهم بالهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) وماذلك الاغشاوة كانت على أبصارهم وغشاء على بصائرهم سد عليهم مسالك العلم بسنن الحياة ونزع من أنفسهم قوة الارادة التى تسوق الانسان لطلب الكمال

ولكي تقدّ تلك السلاسل فتندفع الهمم عن حدود تلك السيطرة الجائرة على العقول والافكار . وتمزق تلك الغشاوة التى رانت على القلوب والابصار . فيرى كل شخص فى نفسه ان لعقله حق السلطان المطلق يصرفه فى انحاء الوجود . لتناول مافيه المصلحة من كل موجود . جاء الاسلام هادماً لاركان الأثرة بالعلم والسيطرة على العقول منبهاً الفكر الى أن لاحد يقف عنده فى تناول أسرار الطبيعة المسخرة لنفع الانسان . وأن لاقوة ولافعل فى هذا الخلق لمسيطر الا للخالق المنان . فقال تعالى فى ذلك (وسخر لكم مافى السموات وما فى الارض جميعاً منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وتنبيها للناس

الى أنه سبحانه مع كونه هو القابض على مفاتيح الرزق دون سواه فقد قسم المعائش وهى الاعمال والصناعات لتكون مناط الاسترزاق فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) ولكى تكون هذه المعايش سببا للمسابقة التى يكون الرزق معها حظوظاً بنسبة العمل والكد قال تعالى (وان ليس للانسان الا ماسعى) ولما كان السعي فى الطريق المحمود على الوجه المحمود لايخلو من معاناة مشقة الكد والنصب قال تعالى محرضاً عليه المؤمنين (وجاهدوا فى الله حق جهاده) والجهاد فى الله تعالى هو اتباع سائر اوامره ونواهيه مهما كان فيها من مشقة على النفوس . ومنها اتباع الامر بالسعى الذى هو جهاد فى نفسه أيضاً لما يقتضى له من مكافحة العوارض التى تحول دون الوصول الى سعادة الحياة . يؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم (من طلب الرزق على ما سُنّ فهو فى جهاد) هذا ولاسيما ان الله سبحانه وتعالى وعد الذين يؤمنون حقاً بسائر ماجاء به الدين من الامر والنهى ويعلمون به ويسترشدون بسننه الى مناط السعادة من الاعمال الدنيوية والاخروية بالاستخلاف فى الارض فقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض)

ومما يحكم به العقل ان الاستخلاف فى الارض انما هو اعطاء السلطان المطلق للانسان دون سائر الخلق ومنحه السيادة غير المحدودة على مافى الارض . ولا يتأتي الحصول علي ذلك السلطان وهذه السيادة الا بعد الايمان الكامل وهو الاذعان لسنن الله تعالى التى سنها للخلق والعمل بها فى كل مايوصل الى طريق السعادة وسبيل الهدى والحق . وقد علمنا مماتقدم ان مما أرشدت اليه هذه السنن ونبه عليه الاسلام وجوب عرفان كل شخص فى نفسه انه ذو ارادة تبعث فيه القدرة على العمل بحيث يدفع أسباب الشقاء بهمته ويسلك طريق

السعادة بنور عقله . ولا يحصل هذا العرفان ويخالط الضمير والوجدان الا اذا أطلق سلطان الارادة من سلاسل الاوهام . وفكت قيود الجهل والتقليد الاعمي عن الافهام . فانفسح امام الفكر مجال النظر والتأمل واتسع لجياد الهمم مدى الجولان وللعقل مدى الادراك فعلمت كل نفس أنها مستقلة فيما تعمل مسؤلة دون غيرها عما تقترف . لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم ظالمين)

لهذا جاء الاسلام هادياً الى هذا السبيل داعياً الى استقلال الفكر والارادة مبيناً طريق الشر والخير . ونزل القرآن ناطقاً بلسان عربي مبين — من جاء بالحسنة فلة خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون — كل امرئ بما كسب رهين — كل نفس بما كسبت رهينة — انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل — لست عليهم بمسيطر — يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم

بهذا وغيره مما جاء به الاسلام ونطق به القرآن انبعثت الهمة الذاتية فى النفوس وانبث روح الاستقلال والعمل فى تلك الامة العربية فشعرت بحياة جديدة هبطت عليها من السماء وقوة فائقة أخرجتها من عالم العدم الى عالم الاحياء فما لبثت ان تسربلت بحلل الايمان . واستنارت بنور القرآن حتى انسلت من أحضان العصبية والتقليد . وانطلقت فى فسيح الاستقلال الذاتي وبسيط المجاهدة والعمل . وأخذت بالحق فقذفت به على الباطل فزهق (ان الباطل كان زهوقا) فصدقها الله وعده . واستخلف المؤمنين فى الارض فاندفعوا فى أطرافها اندفاع السيل من عال ففتحوا الممالك ودوخوا الامصار

واستعمروا واتجروا وأفادوا واستفادوا ونشروا راية الايمان . في كل صقع ومكان . وهذه آثارهم فى آسيا وأوربا وافريقية وجزائر امريكا وجزائر المحيط تنطق لهم بالحق وتشهد بمبلغ ماوصلت اليه الهمة الذاتية فى الاسلام بترامى أهله الى الانحاء القاصية والاطراف النائية للاكتشاف والاستعمار والاستفادة والاتجار مع ما كان ثمة من صعوبة المواصلات في الارض وفقد روح الامتزاج بين الامم فكانت سفنهم الشراعية تمخر من شطوط البحر الاحمر فى الشرق وشطوط الاندلس فى الغرب فتلتقى فى عرض المحيطين وتخترق الكرة من الجانبين . فكان المؤمن لايعرف له مستقراً الا حيث ينتهى به السير . ولا وطن له الا الايمان ولا يشعر بلذة الحياة الا بالضرب فى اكناف الارض والتملص من حبائل الاخلاد الى ذل الاعتياش من فضلات العجز حتى انه ليؤثر عن رجال هذه الامة وافرادها من شوارد الحكم الدالة على ماأشربت به نفوسهم من حب العمل ورفض الاتكال على كفاية الاغيار بفضل الاسلام مالا يدخل تحت الحصر كقول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « مامن موضع يأتينى الموت فيه أحب الىّ موطن أتسوق فيه لاهلى أبيع واشتري » وكان زيد بن سلمة يغرس فى أرضه فقال له عمر رضى الله تعالى عنه « أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك واكرم لك عليهم » وكقوله أيضاً « لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة » وكقول أبى قلابة لرجل « لان أراك تطلب معاشك أحب الىّ من أن أراك فى زواية المسجد » وكقول طلحة رضى الله تعالى عنه « اللهم ارزقنا مالا وجاهاً فانه لايصلح مال بغير جاه ولا جاه بغير مال » وكقول يزيد بن

المهلب « ماسرني اني كفيت أمور الدنيا بأسرها لئلا أتعود العجز »

هذا ماأثمره مبدأ الاستقلال الذاتى فى الاسلام بين أمم التكافل والاتكال من قبل كالعرب وأمثالهم وذلك ماتسمى اليه همم رجال المغرب فى هذا العصر ويقول به فريق الذاهبين مذهب الانكليز السكسونيين فى أصول التربية على مبدأ الاستقلال الشخصى الداعى الى العمل والجد وشتان بين ماأنتجته التربية على هذا المبدأ عند الانكليز السكسونيين من الافراط في الطلب الذى تناهي فيه عندهم حب الاثرة بمنافع الممالك المستعمرة ولو باستعمال قوة القهر الجائر مع الشعوب الخاضعين لحكمهم وبين مارتبط به هذا المبدء فى الاسلام من أحكام العدل التى كانت تسوق المسلمين الى القصد فى الطلب ومراعاة حقوق الغير والمحافظة على تقوي الله فى معاملة الناس والترفع عن الدنايا والرفق بالامم المغلوبة والتساوى معهم بالحقوق

ولما كان هـذا المبدأ جهادا فى نفسه كما قدمنا ومن مقتضاه مغالبـة العوازض التى تقف في وجه العزائم الساعيـة وراء الرزق والعمل مما يجعـل الارض ميدانا تتسابق فيه الرجال وتتبارى عليه الهمم . وهذا يقضى من طبعه تخلف عدد غير قليل ممن يعتريهم الونى أو العجز لاسباب . أما طبيعية فى أصـل الخلق كضعف قوة الارادة والعقل . واما عرضـية كالمرض . واما حكمية كالقيام بوظيفة المرابطة للذب عن حياض الاسـلام والذود عن حمى الملك فقد قرر الاسلام مبدأ الاشتراك على الوجه الذي ذكرناه فى الفصـل السابق لا ليكون منفصلا بطبعه عن مبدأ الاستقلال كما يسعي اليه دعاته فى هـذا العصر بل ليكون عونا لتلك الطبقة المتخلفة يدفع عنها الشـقاء ويجعلها وأهل العمل والجد من السعداء

وما أعدل ماجاء به هذا الدين من أصول الحكمة فى تحديد المطالب والتوفيق بين الرغائب مما سنأتي على اتمام الكلام عليه بعد ان شاء الله وبه التوفيق

المقالة الثالثة

الحيرة من تباين احوال المسلمين عن حقيقة الاسلام • التردد بين اليأس من حياة المسلمين والامل فيها • تفضيل الرجاء على اليأس الانسان مدني بالطبع • معنى الاجتماع في الاسلام ان يكون المسلم مستقلا في نفسه فى خصوصياته مجتمعا مع اخوانه في عموميات مجتمعهم • تحذير الاسلام أمم التكافل من معيشة الاتكال • انضمام عناصر شعوب الاشكال الي وحدة الاسلام وتكافلهم على مصالحهم العامة • رحمة الله سبحانه وتعالي بالناس بتأليف قلوبهم وجمعهم على الاسلام • الاخاء الاسلامي العام وشروطه ومايجب فيه • استشهاد بحادث خالد بن الوليد على تكافل المسلمين على قيام شرائع الاسلام • الحيرة في التطبيق بين حالتي المسلمين أمس واليوم وتهاونهم بشروط الاخاء العام • حادثة تدل على ما كان عليه المسلمون من عظيم التمسك بمعني التكافل العام والتناصر بين أهل الاسلام • دعوة افلاسفة العصر الى النظر باحكام الاسلام وحكمه • استشهاد بكلام لاحد فلاسفة الفرنجة على ما أفاده الاسلام للبشر

لايسع المسلم كلما أطلق لفكره عنان البحث والتوغل فى استخراج دقائق الحكم التى اشتمل عليها الاسلام الا الاسترسال في مهامه الحيره عما انتهى اليه حال المسلمين والاستسلام لعواطف الضمير المستشعر بآلام اليأس

من حياة قوم ماقدروا نعمة الاسلام حق قدرها (ونسوا حظاً مما ذكروا به) أجل ان الافئدة لتتصدع . والعيون لتدمع . وان كل ذرة من ذرات القلوب المؤمنة يخالطها ألم الشعور باليأس من مستقبل أمة استغرقت فى بحران الغفلة عما يكتنفها من ضروب الشقاء ولها من مفجزات الدين الحنيف مالو اعتبرت به واستمرت حريصة عليه لجعلها أسعد الامم التى تقلها الغبراء وتظلها السماء

غفرانك اللهم فقد شط القلم وزل اللسان فانك حرمت اليأس على المؤمنين ليكون زائد أعمالهم الرجاء بالنجح فى كل حين فقلت فى كتابك المبين (لا تقنطوا من رحمة الله)

لسنا فى حاجة لأن نبين فى مقالتنا هذه اثبات كون الانسان مدنيا بالطبع أي محتاجا للتعاون والاجتماع فان هذا ثابت ببداهة الاجتماع نفسه ولا أن ندحض مذهب غلاة الحرية الشخصية من الاوربيين القائلين بوجوب الاستقلال الذاتى على الوجه الذى يريدون به ان يكون الانسان أمة فى نفسه لا أمة له يتكافل وإياها على جلب منافع الحياة الاجتماعية ورفع مضار الوحدة الحيوانية فان هذا مدحوض بطبعه وانما نريد بيان معنى الاجتماع فى الاسلام من حيث كونه اجتماعا يكون الانسان فيه أمة مستقلا فى نفسه بالنظر الأخص وأبناء الملة الواحدة أمة متكافلة على مصالحها بالنظر الاعم وقد سبق لنا بيان المعنى الاول فى فصل الاستقلال الذاتي في الاسلام ونحن نبحث هنا عن المعنى الثاني أى التكافل بعد بيان ماهية الاجتماع بالنسبة للاسلام وما يتحتم فيه على المسلمين فنقول

حذر الاسلام أمم التكافل . وأخصها العرب . عن معيشة الاتكال وبالغ فى

تقريع اهلها وزجرهم عنها . ومما جاء فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم (من مات على عصبية فليس منا)[1]

والعصبية هي الاعتزاز بالعشيرة دون الجامعة والاعتماد على العائلة قبل النفس . وقد كانت قبيل ظهور الاسلام متمكنة من أعتصاب الشعوب سائدة فى كل بقعة من بقع الارض احتلها جند الاسلام وعنها نشأ انحلال أعظم دول الارض يومئذ كالفرس والرومان . فاستحالت عناصرها المتضادة الى عنصر واحد هو الاسلام فصارت أمة واحدة تكافل على مصالحها العامة ويستقل كل فرد منها بثمرة عمله الخاص الذى يجنيه من خلال الجد والنشاط ولهذا عظم الله المنة بتأليف قلوب هذه الشعوب فقال تعالى (لو أنفقت مافى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) وهذا يدلنا على استحكام روح العصبية يومئذ واستشراء شرها بين الشعوب ولما من الله سبحانه وتعالى عليهم وجمعهم بعد التفرق على كلمة الايمان فقال تعالى (فاصبحتم بنعمته اخوانا) أبدلهم عن تلك العصبية الداعية الى التقاطع بروح الألفة فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) ومن ثم محيت آثار العصبية والاتكال على العشيرة والاعتزاز بغير الاسلام ودخل المؤمنون كافة تحت حكم الاخاء العام المعنى بقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) واشترط فى عقد هذه الاخوة ثلاثة شروط تمثل معنى التكافل فى الاسلام فى أجلى مظاهر العدل الكافل لحياة الامم — الشرط الاول — التعاون على البر وترك التعاون على الشر كما يشير اليه قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان) ويجب فيه على أهل الاخاء الاسلامي

(١ وفي رواية ليس منا من دعا الى عصبة

تحرى أسباب السعادة من طرق الشرع المتكفل باتقاء الذمم الطاهرة غوائل الاثم كما يجب ارتياد المنافع من وجوه تبادل المصالح لا من وجوه العدوان المفضية الى الظلم القاضى بخراب العمران . وناهيك بما فى التعاون على هذا الوجه من تمشى أمور المعاملات بين الناس على وتيرة العدل وطهارة النفوس من أدران الشرة الي المحرم من حقوق الخلق

والشرط الثانى — تكافلهم على قيام شرائع الاسلام لتكفلها باسباب سعادتهم على الدوام واليه يشير قوله تعالى (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وفيه الامر بلزوم وحدة الكلمة في الدين واجتناب التفرق شيئاً فيه والتناصر على اقامة سائر أوامره ونواهيه واجراء جماع قوانينه وأحكامه . وقد بلغ أمر المحافظة على هذا الشرط عند المسلمين والتناصر عليه حداً يدهش الباحثين فى تاريخ الاسلام

نمى الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأرضاه ان قائد جيوش المسلمين خالد بن الوليد رضى الله عنه أصيب بمرض وهو يحارب فى ارمنيا اغتسل من أجله بماء ممزوج بقليل من الخمر فكتب الى أبى عبيدة فى الشام ان استدع اليك خالداً وسله على ملأ المسلمين هل الخمر حلال أم حرام فان قال هى حرام فاقم عليه الحد وان قال هي حلال فابعث به الي مع بلال مقاداً بعمامته فاستدعاه ابو عبيدة وتلا عليه امر أمير المؤمنين على ملأ المسلمين ثم سلمه الى بلال فقاده الى المدينة دون ان ينبث لا هو ولا فرد من المسلمين ببنت شفة . وخالد من علمنا من رجال المسلمين . قضى حياته كلها فى خدمة الاسلام حتى انعقدت على حبه والتغالى فى الانقياد اليه خناصر جيوش المسلمين ورجالهم المجاهدين . فلم ينصره فى جانب احكام الدين فرد من أولئك

المحبين حتى هو لم ينتصر لنفسه أيضاً فرضى الله تعالى عنهم اجمعين

— الشرط الثالث — اطلاق حرية الضمائر واستقلال الافكار فى اداء واجب المناصحة العامة بين المؤمنين والخاصة لكل مؤمن فى نفسه فقال الله تعالى فى هذا (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) ويتم بهذا لاهل أخوة الايمان أمران — الامر الاول — الاستقلال العقلى ليكون كل فرد منهم أمة فى نفسه قائما بالقسط (أى بالعدل) فى سائر أعماله الروحية والجثمانية يشهد بالحق ولو على نفسه فيتنكب بها عن مواطن الخطأ ويسوقها الى طريق السعادة — والامر الثانى — التكافل بينهم جميعاً ليكونوا كلهم أمة واحدة تتحرى مصالح مجتمعها بتحرى طرق الشرع والعدل المؤدية الى سعادة الجميع بقوة الجميع والى هذا يشير الحديث النبوى الشريف (مثل المؤمنين فى توادهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر)

هنا يقف الفكر حائراً فى مجال النظر والتطبيق بين حالتى المسلمين أمس واليوم . ويخجل الباحث من تقرير هذه الحكمة السامية على ملأ الناس من أهل كل ملة ودين بعد اذ اصبح المسلمون يمزقهم الاعداء فريقاً بعد فريق فلا يحس الفريق الواحد بما أصاب الآخر . مع ان من مقتضى الدين كما رأينا فى الحديث أن مؤمناً اذا اصيب بمصيبة فى الشرق وجب التوجع له واسعافه حتى من أهل الغرب

نادت فتاة مسلمة كانت أسيرة فى قاصية الروم . وامعتصماه . فطرق اذن المعتصم هذا الخبر وهو فى مجلس أنسه فانقلب الانس وحشة والسرور كدراً وتألما . فقال لبيك لبيك ونهض مقسما أن لايعود الا بعد فك

الفتاة من أسرها وكشف الضر عنها . ثم ركب من ساعته قاصداً غزو بلاد الروم يتبعه الجنود تلو الجنود . والبنود بعد البنود حتى استنزل اقيال الروم من العواصم . وناداهم ليس لكم اليوم من عاصم الا الفتاة المسلمة تفكون أسرها وتكشفون ضرها . فأخذها وعاد تزين له البلاد . وتستقبله بمجالي الفرح الرعية والاجناد

أفلا يجدر بنا ان نقول لفلاسفة العصر الباحثين فى أحوال العمران العاجزين عن التوفيق بين رغائب الانسان عليكم بالاسلام فهذه أحكامه وحكمه وتلك فضائله ونعمه واذا سلموا بالانقياد الى الحق واعترفوا بفضيلة الاسلام لكن تعذر عليهم تطبيقه على أحوال المسلمين الآن بما يشاهدونه فيهم من الخذلان فطالبونا بفصيح البيان أو رمونا بضعف العقيدة وكفران نعمة الاسلام . أفلا تخجل منا الضمائر وتتناجى بفساد ما أصبحنا عليه السرائر بل تجرح القلوب وتشق المرائر

أجل ان ديناً يقول عنه أحد الكتاب الفرنجة وفلاسفتهم وهو المسيو شارل ميسمر (١) — الاسلام أفاد العالم فيلزم على أوربا أن تحافظ على حياة أهله — لدين خانه أهله . وأجدر بهم الانابة والاستغفار والتبصر والاعتبار والا أخذهم الله بذنبهم أخذاً وبيلاً قل (هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

---

(١) قاله فى كتابه تذكار العالم لاسلامي الذي سننقل شيأ منه فيما يلى ان شاء الله

المقالة الرابعة

سياج المدنية التربية الروحية والقوانين الشرعية — اضطراب حال التمدن الاوربي وأهله لفقد التربية الروحية — مذهب القائلين بالمؤثر الادبي في اوربا وانه لايخلو من وجوه النقض التي تصادم احكام الفطرة والعقل — استنكار كثير من اهل اوربا لهذا المذهب وتطرقهم لاستنكار الاديان — اصول التربية الروحية في الاسلام واساسها العدل في تعديل الشهوات لاالى الحد الذى يقضى بقتل الهمم ويضعف ثمرات العقول — الندب الى السعي والقصد في الطلب يولدان القناعة بالحلال الطيب — وجوب حفظ النسبة بين الدخل من الرزق والانفاق منه — ما أمر به الاسلام من عدم التغالى بحب الذات وعمل الصالحات — القناعة وفائدتها والشره وانه سبب الامراض الفوضوية فى الجمعية الاوربية واليأس والرجا وذم الاول ومدح الثانى — افضل الاعمال ماأكرهت عليه النفوس — نهي الاسلام عن الرضا بالحرمان وتعطيل وظائف الحياة

علمنا من الفصول الماضية كيف ان الاسلام تكفل ببيان مطالب الحياة الاجتماعية على وجه ينهض بالهمم الى أقصى غايات السعادة التى تطمح اليها نفوس البشر . وأفضنا فى البحث عما هو مناط السعادة التى ينشدها الاوربيون الآن بمالا يدع حاجة فى النفوس الى زيادة التوسع في البحث للالمام بأصول الحكمة التى تربى الشعوب الاسلاميه على مايؤهلها للرقى فى مراقي المدنية والتمتع بطيب الحياة الاجتماعية ولكن الاحتياج هذه المدنية الى سياج يقى المجتمعات غوائل مايعرض لتلك الحياة من الآفات التى تتولد

فى ثنايا الاجتماع وتنشأ فى مهد المدنية ؟ بلى وأيم الحق انها لمحتاجة الى ذلك السياج أشد الاحتياج . وما هو ذلك السياج ؟ هو التربية الروحية التى تتكفل بتهذيب النفوس على الخير . وتعديل ملكات الحرص والطمع . والقوانين الشرعيه التى تتكفل بتحديد الحقوق وبيان الواجبات التى تستقيم بها الاعمال والمعاملات

هذان المطلبان هما من متمات السعادة الحيوية ومن أركان الحياة الاجتماعية ولا سبيل بدونهما لبقاء الامم راقية فى مراقى الكمال آمنة من علل الهبوط والاضمحلال . ولا يغرنك ماترى من رقي الامم الاوربية مع اهمال اكثرهن للمطلب الاول وهو التربية الروحية فما مثلهن الآن الا كمثل رجل وجد كيساً من الدراهم فى فلاة فأخذه وحاول الاسراع به الى مأمن يأمن فيه شر المسابة واللصوص لكن سروره بهذه اللقطة جعله يتلهى بعد الدراهم وتقليب النظر فى الكيس حتى داهمه الظلام وأحس بخطر الموقف فسقط فى يده وحاول النجاة بنفسه . يدلك على هذا سريان الشعور فى نفوس أهل المغرب بخطر المدنيه الجديدة الناشىء عن الاسترسال مع تيار الاهواء تلك المدد الطويلة بسريان علل ذلك الاهمال المخيفة فى جسم المجتمع الاوربى مما أفضى بفلاسفته الى البحث عن علاج يستأصل شأفة هذه العلل التى جلبت أنواع الشقاء للطبقة النازلة ثمة ومن هؤلاء الباحثين فريق القائلين بالمؤثر الادبى ومذهبهم فيه تطهير الوجدان وتربية الانسان على تحمل الحرمان واماتة الشهوات وحب الغير وتضحية حب الذات . وان هذا يؤدى الى رفع العالم الانسانى وانتظام النظام الاجتماعى على ان خصوم هذا المذهب من القائلين بالاستقلال الذاتى ينكرون فائدة هذا المذهب ويقولون انه لايكفى للقيام

بحاجات الهيئة الاجتماعية وانما يقوم بحاجاتها ويضمن سعادتها انبعاث الهمة الذاتية فى النفوس بتعويدها على العمل بحيث يستغنى كل فرد فى نفسه عن الكل . ومن آفات التطرف عند الامم المتمدنة في هذا العصر استنكار كل فريق من الباحثين فى حاجات الاجتماع مايقوله الفريق الآخر واعتماده على مايراه هو دون مايراه ذاك كما بسطناه فى الفصل الاول . على ان مذهب القائلين بالمؤثر الادبى على اطلاقه لايخلو من وجوه النقض وعدا هذافتأثيره على الارواح يتوقف على استجماعه للاصول التى لاتصادم أحكام الفطرة والعقل ليكون حسن الاعتقاد به أتم فلا يخالط النفوس ريب بمنافعه لسبب من الاسباب التى تشوش على العقل فى استجلاء نواميس الطبيعة وتورد عليه من الشبهات فى أصول الدين مايتعذر عليه تطبيقه على قوانين الوجود وتسلب منه الاطمئنان لغير أحكام الحس . وبالطبع ان أحكام الحس تؤيد منافع مذهب الاستقلال الذاتى . لهذا نرى ان المقاومين لمذهب المؤثر الادبى فى أوربا كثيرون . وقد بلغ بهم الغلو فى المقاومة الى استنكار سائر الاديان والعياذ بالله تعالى زعماً منهم بانها غير وافية بحاجات الاجتماع وقد رأيت مايكذب زعمهم هذا فى الدين الاسلامى الذى هو دين الفطرة والعقل الجامع بين مطالب الحياة الاجتماعية ونحن نذكر الآن طرفا من أصول حكمته السامية فى تربية النفوس على مايعدل ملكاتها الضرورية والفطرية ويرشد الى مناط السعادة من عمل الروح كما أرشد الى مناطها من عمل الجسم والعقل فنقول

جاء الاسلام بأصول التربية الروحية لاتتكون بنفسها قائمة بسائر حاجات الاجتماع المدنية كما يقول به فريق القائلين بالمؤثر الادبى فى أوربا

بل لتكون سياجاً يقي مطالب الاجتماع التى قررها الاسلام (كما رأينا فى الفصول السابقة) غوائل البحث وآفات التفريط والافراط فتضمن سعادة الحياتين الدنيا والآخرة وتكفل انتظام العملين عمل الجسم وعمل الروح فأمر بتطهير الوجدان وتعديل ملكات حب الذات وكل الشهوات لا الى الحد الذى يقضى بقتل الهمم ويضعف ثمرات العقول . نعم ان الانسان اذا اندفع في طريق الشهوات وأطلق له عنان الطمع بالمزيد من كل شئ كان أشبه بلهب اذا صادف حقلا جافاً لايغادر فى طريقه خضراء ولايابسة الا أن هذا لايستلزم التذرع بالمؤثر الادبى لتجريده عن أمثال هذه الملكات التى هى آلات يحركها العقل للعمل فيما يحفظ تكوين الانسان من فساد التعطيل بل يلزم سوق هذه الملكات الى ميزان الحكمة وردها الى حد العدل القاضى باختيار الوسط وترك التفريط والشطط اذ كما أن التفريط بهذه الآلات مضر من حيث كونه يوجب وقوف حركة الجسم والعقل كذلك الافراط باستعمالها مضر من حيث كونه يوجب ضعفها والنتيجة في الحالتين واحدة وهى تعطيل وظائف الحياة . ومن ثم فالغرض من التربية الروحية فى الاسلام ان يعوّد القلب ارادة الخير من طريق العدل الذى هو ثمرة تقوى الله سبحانه وتعالى . وهى الامتثال لما أمر به ونهى عنه . واليه يشير قوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى) وقوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية)

ومما لامشاحة فيه انه متي صلحت أعمال القلب وهى النية والقدرة والعلم والارادة استقامت أعمال الانسان الرحية والجسدية ولهذا جاء فى الحديث النبوى الشريف (ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد) وبيانه ان الانسان اذا نفعل بمؤثر أيا كانت صفته وسببه فأول مايتأثر

منه القلب ثم سائر الاعضاء فاذا عوّد القلب إرادة الخير انفعلت به الجوارح فاهتدى الحس الى مناط السعادة الروحية والجسدية . وإرادة الخير انما تكون بالعدل الذى تصلح به الاعمال وتستقيم على طريق الحكمة والسداد . ولهذا فكما أمر الاسلام بالسعى والاعتماد على الهمة الذاتية لنوال السعادة الدنيوية والاخروية لكن لا الى حد الافراط المفضى الى انهاك القوى الحيوية واستشراء شر الشهوات النفسية أمر بالقصد في الطلب لكن لا الى حد الترك والرضا بتحمل الحرمان المفضي الى تعطيل وظائف الحياة البشرية ولهذا قال الله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا)

أجل أن الله سبحانه وتعالى أمر بالسعى وراء الرزق فى غير ما آية من كتابه العزيز ومنه قوله تعالى (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) لكن على شرط أن يكون مقرونا بالحكمة وهى العدل الذى تقيد به المؤمنون فى سائر أعمالهم فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط) وقوله تعالى (قل أمر ربى بالقسط) ولتطبيق القصد فى العمل والسعى على القصد فى المعيشة أو حفظ النسبة بين الدخل من الرزق والانفاق منه قال تعالى (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)

ووقوف النفوس عند هذا الحد من الاعتدال فى الطلب والقصد فى المعيشة يعدل من شهواتها ويربى فيها ملكة القناعة بالحلال الطيب فيطهرها من أوضار الشره الداعى الى التهالك على التماس الرزق من غير طرقه المشروعة الباعث على التغالى بحب الذات ومتى وجدت ملكة القناعة فى النفوس تعدلت

تلك الشهوات وخفض المرء من حب الذات وانبعثت فيه روح الشفقة على الغير والحنان الى عمل الخير لاسيما وأن الله سبحانه وتعالى قد أمر المؤمنين بعمل الصالحات وتجنب التغالى بحب الذات واسداء المعروف الى الغير وانفاق المال فى سبيل الخير . وما جاء من هذا فى الكتاب الكريم فكثير جداً ومنه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) وقوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله تعالى (من عمل صالحاً فلنفسه) وقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) وقوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الارض ولا فسادا) وفى الحديث (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

وفضلا عن هذا فان تعديل ملكة الشره الى القناعة تفيد عند تعذر الحصول على المطالب لسبب من الاسباب فائدة عظمى وهي حبس المؤمن شهوته وعدم اقدامه على الشر كما يفعل ذلك الذين يصيبهم اليأس والقنوط من الاوروبيين ويؤدى بأحدهم إما الى الانتحار بأن يقتل نفسه تخلصاً من متاعب الحياه واما الى الجراءة على اجتراح الجرائم والآثام فينضم الى حزب من أحزاب الفوضى والعدمية وينتقم لعجزه من سواه

ولما كان اليأس مثار هذه الشرور فقد حرمه الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) وقوله تعالى (لا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) وقوله تعالى (لا تقنطوا

من رحمة الله) هذا كله ليكونوا دائما مطهرين من علة اليأس الداعي الى استرسال النفوس في الشرور وفساد النحيزة والاخلاق وليتمسكوا بأذيال الرجاء الذي هو كما عرّفه العلماء حالة يثمرها العلم بجريان الاسباب فيثمر الجهد للقيام بهذه الاسباب . وليس فوق هذه الحكمة السامية حكمة تربي النفوس على العمل والجد مع مراعاة جانب العدل في الطلب والمعيشة لتتحول ملكة الشره الى القناعة التي توجب الصبر لكن عند تعذر الوصول الى الاسباب وضعف الرجاء بنوال المطالب اذ مادام الرجاء ثمرة العلم بالاسباب فليس لمسلم يصاحب قلبه الرجاء لاعتقاده بحرمة القنوط أن ينكص على عقبيه أمام الموانع التي تحول دون التشبث بالسبب واذا تعذرت الاسباب هان عليه الصبر بحكم القناعة دون اليأس المحرم الذي يطأ مَنْ مِنْ اشراف النفس وعلو الهمة ويدعو الى اجتراح الجرائر وانحطاط الاخلاق وفسادها . لهذا لما حرم الله اليأس على المؤمنين اثنى على الصابرين فقال تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى معنى الصبر (أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس) وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)

هكذا تعالج النفوس على العمل بلا شره والقناعة بلا ترك والصبر بلا يأس وهذا دواء العلل التي تهدد الحضارة وأهلها وتكفل استقلال الامة متكافلة والافراد منفردين فيقيهم سياجها غوائل ما يشكو منه أبناء المدنية الجديدة ويخاف شره المستطير فلاسفة العصر في أوروبا ويحاول فريق القائلين بالمؤثر الادبي ملافاته بحكم التربية الروحية لكن بما لا نسبة بينه وبين هذه التربية في الاسلام لمضادة أصول ذلك المؤثر لقانون الفطرة والعقل اذ

الانسان خلق ليعمل فيعيش فلا سبيل لاقناعه بتعطيل وظائف الحياة بتحمل الحرمان أو اماتة الشهوات بل السبيل الى تعديل ملكات الشهوة والعمل وتقويم أود النفوس بقانون الحكمة والعدل أسد وأقوم . وهذا ما تكفل به الاسلام وجاءت به شريعة محمد عليه الصلاة والسلام

المقالة الخامسة

الانقلاب السياسي الذى فعله الاسلام فى اقل من قرن وان هذا الانقلاب لايتأتى حدوثه بوسائط البشر — قصور لرومانيين عن مداناة اهل الاسلام في سياسة الامم — شرائعهم الهمجية — قصور اهل اوربا عن مداناة دول الاسلام فى هذا السبيل أيضاً انقلاب حال المسلمين وان منشأه فتن تأصلت فى النفوس وفرقت الجماعات . ترفع قانون الاسلام عن مماثلته لقوانين العقل — استيفاء الاسلام للحاجة الاجتماعية في سائر أمور المعاش والمعاد — جواز الاجتهاد فى الاسلام — توسع الائمة في استنباط الاحكام المدنية والسياسية من الكتاب والسنه — توحيد السلطة والحكم فى الاسلام — عكسه عند الغربيين الآن — استفادة الغربيين من الاسلام كثيراً من أصول الترقى فى مدينتهم الجديدة الا التساوى العام بين الغالب والمغلوب

ظهر الاسلام في جزيرة العرب بين قبائلها البدوية التى كانت من الهمجية على حالة يعلمها كل واقف على التاريخ ولم يلبث ان امتد نور دعوته

في آفاق الديار العربية حتى انهض بتلك القبائل من حضيض الجهالة الى ذرى العلم ومن مهاوى الهمجية الى أوج الحضارة فرفعوا راية الاسلام على صروح أعاظم ملوك الارض واستخضعوا لسلطانه مئات الملايين من البشر وساسوا ممالكهم سياسة ما كنت ترى معها الا عدلا سائداً وعلما ناميا ومدنية زاهرة وشعوباً تقبل على التدين بهذا الدين وملوكا تخطب مودة اوليائه وأمماً تلتمس الراحة ورغد العيش في ظل لوائه ومدناً تشاد وموا تاً يحى ومسالك تمهد ومدارس تشيد وبالجملة نظاماً جديداً ينموا بين البشر على أصول للاسلام الذى قلب أوضاع الدول وبث روح الحياة الاجتماعية بين أمم الارض فاحدث فى العالم من الانقلاب فى مجرى السياسة والفكر فى أقل من قرن مالم تحدثه أعظم الأمم قوة وأرقاهن علما وحضارة فى قرون عديدة أفليس فى هذا ما يدعو عقل الحكيم الى التأمل ويمهد سبيل الحكم على ان ذلك الانقلاب لم يأت عفواً ولا يتأتى حدوثه على شكله الجليل وسرعته الباهرة بأية واسطة من وسائط البشر

ان قوى البشر العقلية والمادية أعجز من ان تفعل ما فعله الاسلام في سنين قليلة ولو كان بعضها لبعض ظهيرا . استفتح الرومان معظم ممالك الارض ووضعوا ما شاؤا من الشرائع والقوانين لتثبيت بنيانهم وتمكين سلطانهم فهل أصبح الخاضعون لسلطانهم يوماً رومانيين ؟ وهل زادت تلك الشرائع عن كونها شرائع همجية يباع بها المدين مثلا بمال الدائن لا تصلح لاستصلاح الناس ولا يقوم بها نظام الاجتماع . وانكفأ الفرنجة على المشرق منذ ثلاثة قرون يفتحون الممالك ويدوخون البلاد ويبسطون يد السلطة على الشعوب فهل تمكنوا على مرور الاجيال من وضع قانون شامل ونظام عادل يجعل

هؤلاء الشعوب افرنجاً يقصدون مع الفاتحين مقصداً واحداً ويسعون لمصلحة واحدة كلا انهم مع رقيهم العظيم الذى لم تبلغه من قبل أمة الرومان ودعواهم العريضة فى خدمة الانسانية ورفع شأن الانسان لم يزالو عاجزين الى الآن عن توحيد كلمة الشعوب واستصلاح الامم الخاضعة لسلطانهم العظيم بقانون العقل

ان الاسلام استخضع لسلطانه فى نصف قرن مالم تستخضعه دولة من دول الارض من قبل ومن بعد ومع ذلك فقد جعل كل الامم الخاضعة له أمة واحدة تقصد وجهة واحدة وتمتع بحقوق واحدة وتتكلم بلغة واحدة لانها تشتمل بقانون واحد شرعه الله للناس هيهات ان تدانيه شرائع البشر او تستصلح بغيره مجتمعات الانسان ذلك لان مقاصد الشرع الاسلامي كلها متوجهة الى منافع الانسان وحياة المدنية والعمران ولولا ما أتى على الاسلام فى بعض قرونه من الانقلاب فى السياسة ومنشأوه فتن تأصلت فى النفوس فزقت الاحشاء وفرقت الاعضاء فاختلطت بسببها الشهوات النفسية بالامور الدينية فتخللت جسم السلطة العامة فتسامحت بكثير من السياسة الاسلامية وعبثت بأهم القواعد الدينية فافسدت عليها النيات وافترقت بسببها الجماعات لكان الاسلام الى الآن أهله فى ارتقاء ودوله فى قوة ومجد وعلاء

أجل ان الشريعة الاسلامية هى اوقى سياج لمجتمعات البشر وقانون الاسلام أسمى من أن تتناول مثله العقول بدليل استيفائه لحاجة البشر فى سائر أمور المعاش والمعاد واشتماله من أحكام الحقوق والسياسة والعقوبة والقصاص على مايضمن راحة الامم ويحفظ كيان الدول هذا باعتبار الاصول التى تفرعت عنها تلك الاحكام اذ ليس من شأن الشارع البسط فى كل علم

أفادنا اياه من العلوم بل ذلك موكول الى افهامنا فى ارجاعها عند الحاجة الى مآخذ تلك العلوم من الكتاب والسنة ولما كان من الضرورة وجود الاحكام بازاء الحوادث التى لا تتناهى فى جانب الترقى والاجتماع ولما أراد الشارع من تمام الخير والتيسير للمسلمين كما يشير اليه قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فقد وسع عليهم باستنباط الاحكام من أصول الشريعة وتطبيقها على الحوادث التي تحدث للبشر بمقتضى سنة الترقى والانتقال وذلك بتجويز القياس والاجتهاد فى المسائل التى لا يكون بازائها نص صريح على شروط مقررة عند أهل العلم . وجواز الاجتهاد كما ذكره علماء الاصول مأخوذ من قوله تعالى (فاعتبروا ياأولى الابصار) ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل معاذاً الى اليمن بماذا تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد برأيي فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي وفق رسول رسوله بما يرضى به رسوله

ولهذا توسع الأئمة في استنباط الاحكام السياسية والقوانين الاجتماعية من أصول الشريعة فاحاطوا بسائر لوازم الدول فى حياتها السياسية فوضعوا كتباً مخصوصة تشتمل على القوانين الشرعية والقيود المرعية للوزارة والقضاء وامارة الحرب والاحتساب وكتابة الجيش والخراج ودواوين العطاء والسفارة والترجمة ونحو ذلك مما تحتاجه الدول الاسلامية في قيامها وتكفل بسلامة كيانها لهذا لما بسط الاسلام جناحيه على الشرق والغرب لم يدع لأرباب الاثرة من الرؤساء وسيلة لتنويع السلطة بحكم قوم بما لا يحكم به آخرون فشمل العدل سائر الخاضعين لسلطان المسلمين فاقبل الناس فوجا فوجا للدخول في هذا الدين أو التناصر على المصالح العامة مع المؤمنين والعدل بين الناس

أساس التحابب وقوام الملك والعمران وداعية التناصر بين أصناف الانسان الخاضعين لأية حكومة وسلطان وهذا مايسعى اليه فريق كبير من الاوربيين الآن من طلاب المساوات بين سائر الشعوب الخاضعين لسلطان الفرنجة ولكنها رغبة تغلب عليها نحيزة التعصب وحب الذات في كثير من الاحيان فتمحو صورتها عن صفحات الجنان فهي دائماً عرضة لغلبة الشهوات وتغلب حب الذات والا لما ساد الظلم في المستعمرات الاوربية واستحكمت البغضاء بين الامم الغربية والشرقية وهيهات ان يتوصل دعاة التمدن الجديد لتقرير قواعد العدل والمساواة بين المغلوب والغالب فينيلوا الشعوب ما نالوه ابان جدة الاسلام من المطالب

نعم ان الاوربيين استفادوا من الاسلام كثيرا من اصول الترقى في مدنيتهم الجديدة واستنبطوا ماشاؤا من أحكام الشريعة الاسلاميه بترجمة كتبها المعتبرة الى لغاتهم العديدة كما ترجموا كثيراً من الكتب فى سائر العلوم[1] وهذا الذى انهض بهم الى ذروة المجد والسيادة ولكن تغافلوا عن أهم قواعد السياسة الاسلامية في حكم الامم المغلوبة وهي المساواة العامة بين الغالب والمغلوب فى سائر الحقوق فان هذه القاعدة فى الاسلام جعلت سائر الامم الخاضعة لسلطانه في أقل من قرن كلها أمة واحدة كما سبق ذكره .

---

(١) راجع كتاب خلاصة تاريخ العرب لسديو المترجم والمطبوع فى مصر نرى فيه تفصيلا مهما عن كيفية تلقى الافرنج العلوم عن العرب يعترف فيه ذلك المؤرخ الشهير بحكم التمدن الاسلامي على سائر فروع التمدن الغربي وان الغربيين عالة في علومهم على المسلمين وقد انعكست القاعدة الآن وأصبحنا من الجهل بساء لوازم حياتنا الاجتماعية بحالة لا يرضاها انسان

ومن الاسف ان يقوم فريق من فلاسفة العصر دعاة للمساواة التامة لكن على وجه بلغ من الطرف في الرأى ما رأيت فيما سبق من الفصول لا سيما في مذاهب الاشتراك وقد غفلوا عن أصل هذه القاعدة في الاسلام كما أضاعها أهلها من المسلمين بتساهل علمائهم واستئثار رؤسائهم «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»

ولنا كلام فى هذا الباب سنأتي عليه ونوفيه حقه من البيان ان شاء الله وبه العون والتوفيق اه

﴿ المقالة السادسة ﴾

ملخصه — الاسلام وانه دين الهدى والحق وان اهله ينبغى ان يكونوا اسعد الأمم — انحطاط المسلمين وأن سببه أن ما هم عليه اليوم غير صحيح — انحدار المسلمين من قمة مجدهم بسبب تسامح العلماء والامراء — انحطاطنا الى درجة اصبحنا نرى فيها النقم نعما — وجوب المناداة بالاصلاح والجهر بالحق ولو ببيان النقائص استنهاضاً للهمم وبيانا لمظان الضعف — الاقتداء بالقرآن فى تقريع الجاهلين — سقوط المسلمين بين عدوين عدو في الداخل وعدو في الخارج — انصياع المسلمين للشهوات وذلهم لحكم القهر والاستعباد

قد علم القارئ مما بسطناه فى الفصول السابقة ان الاسلام أحاط بسائر لوازم الحياة الاجتماعية وأرشد الى جميع طرق السعادة الدنيوية والاخروية ولا جرم ان ديناً هذا شأنه وذلك هداه لدين الحق الذى ينبغى لاهله أن

يكونوا أسعد الشعوب وأعظمهم مجداً وارتقاء وان لا يظهر عليهم فى هذا لوجود اثر للشقاء لانه اذا كانت القوانين الوضعية على ما فيها من المغامز وما يخالطها من شوائب الوضع التابع لاغراض الواضعين تنهض بأمم المغرب الى المكان السامق الذى نشاهدهن فيه اليوم فكيف لا يكون المسلمون ارباب هذه الشريعة الباهرة والدين القويم أسعد حالا وأنعم عيشاً وأرقى مكانا من جميع أمم الارض

ان هذا مايحدو بكل عاقل الى الحكم بان ماعليه المسلمون اليوم هو غير ما كانوا عليه بالامس وان سبب انحطاطهم فى العلم والمعارف والاخلاق انما كان منشأوه ان ماهم عليه اليوم غير صحيح لا الدين نفسه كما يفتريه فريق من أهل البحث الذين وقف بهم الاستقراء الناقص عند حد الظواهر التى تجلىّ لهم على اعمال المسلمين اذن فالمسلمون يوم رفعوا شأن العلم والحضارة وسلكوا سبل الترقي والاستعلاء على سائر الامم هم غير المسلمين اليوم واما الاسلام فانه كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والسنة الثابتة الصحيحة وهو باق ان يزول مادامت السموات والارض الا ان انحطاط المدارك عن فهم حقيقة القرآن واختلاف المنازع فى درك الحق مع ماسبق ذلك من سوء التعليم وتسامح العلماء والامراء ادخل على العقائد من البدع والصق بالعقول من الوساوس ماليس من الدين ففسدت بسببه اخلاق المسلمين فانحدروا من قمة مجدهم انحداراً مازالوا آخذين به الى اليوم وهم لايشعرون . ولقد بلغ بهم عدم الشعور بهذا الحال مبلغاً يحار فى تعليله عقل الحكيم فإن فى المسلمين اليوم اقواما لا يزالون يعتقدون انهم أرقي الامم حالا وأعلى الشعوب كعبا واسلمهم عقيدة بل وبعضهم يرى ان هذا العصر الذى

انحط به المسلمون فى العلم والدين والقوّة الى اقصى درجات الضعف فمزقهم الاعداء بسبب هذا كل ممزق هو خير العصور الاسلامية بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وأولاها بتلاوة آيات والثناء على أولياء أمر الامة لقيامهم بشوؤن المسلمين واعزاز جانب الموحدين على النهج الشرعى الاقوم والطريق السوى الاسلم وتشهد عليهم بهذا خطوط كتابهم وفضلائهم فى صفحات الجرائد وثنايا الكتب . وأي شهادة على انحطاط مداركنا وفقد الاحساس الطاهر منا أعظم من أن نرى النقم نعما والمصائب رغائب بل اية مصيبة أدهى من فقد الشعور بعلة تنخر عظامنا فى الداخل وبما يكتنفنا فى الخارج من المخاطر التى تهددنا ببلاء المصير الى ماصار اليه بنو اسرائيل جزاء اعراضهم عن شرعة الحق وتنكبهم مناهج الدين الصحيح ولكن

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

هذا العصر عصر الجهر بالحق عصر المناداة بالاصلاح عصر الاشتغال ببيان النقائص واستقصاء اسباب التقهقر اداء لواجب النصيحة وقياماً بما يفترضه الاسلام فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقال تعالى « ياايها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم » أفبعد هذا الخطاب حجة على المسلم فى كتمانه الحق اذا رآه واذائه واجب المناصحة في الدين وهل تثريب على من يتتبع مظان الضعف ويجهر بكلمة الحق بعد ان جاء القرآن بتقريع الجاهلين وتأنيب المعاندين واعلان شوائب الغابرين فى الدنيا والدين

اللهم لا لوم ولا تثريب فان نفوس المؤمنين حقا رخيصة فى سبيل

مرضاتك ومهجهم مبذولة لاعلاء كلمة دينك فالهمهم رشداً يقوّمون به أود الجاهلين ويقوون به على مصادمة المبتدعين واقناع الجاحدين واذلال المتملقين وقهر المكابرين احياء لشأن الأمة ورفعاً لمنار الدين ونبذاً للبدع واستنهاضاً لهمم المسلمين الى تلافى ما حاق بهم من الاخطار وما لحقهم من من العار بتخلفهم وراء الأمم الحية فى هذا العصر وسقوطهم في مهواة الحيرة بين خصمين شديدين وعدوين هائلين عدو في الداخل ينتزع من نفوسهم عزة الدين بفاعل حب الاثرة ويقتل نشاط النفوس بقوّة القهر الجائر ويذهب بهم مذاهب الضلال بسوء التربية على مبادئ الجهل المطلق بكل ما يحيط بهم فى هذا الوجود وعدو فى الخارج يتربص بهم الدوائر ويستزيد من ضعفهم قوّة فينقص من اطراف ملكهم ويشتت مجتمعهم ويزاحمهم فى أرضهم ويغلبهم على أمرهم ودينهم ذلك الدين الذى من عمل بأوامره غنم ومن تدرع بدرعه سلم وانما هى شهوات الامراء وتسامح العلماء فعلا بالتدريج فعل المخدرات بالعقول فضلّ الناس عن الصواب واختلط عليهم الباطل بالحق فانتزعوا منازع الوثنية وانصاعوا للشهوات وذلوا لحكم القهر والاستعباد فنسأله تعالى السلامة من هذا البحران العميق انه ولىّ الهداية والتوفيق



﴿ المقالة السابعة ﴾

ترقى المسلمين في عصر السلف بفهمهم للدين • كيف كان أحدهم يتلقى الاسلام • سبب انتباه السلف لتدوين الدين في السطور بعد ان كان فى الصدور • سلامة طريقة التأليف والتعليم من الحشو • المنافقون والزنادقة وان لهم يدا بما أصاب المسلمين من الوهن • مدافعة أئمة السلف للبدع التي تسربت الى احضان الجامعة الاسلامية • تسامح الخلف بما لم يتسامح به السلف • تفاقم خطب البدع والاضاليل بتحريم المتأخرين على أنفسهم فهم القرآن وتقيدهم برق التقليد • الكتب المضرة التي تتداول بين أيدي المسلمين • جمود علماء المتأخرين على حالة أصبحوا يبدعون بها كل قائل بالرجوع الى الكتاب والسنة • تكفيرهم لابن تيمية لانه كان من المجتهدين والمقاومين لبدع المبتدعين

لايخالن قوم ان فى بعض مابسطناه فى الفصول السابقة من مزايا الاسلام رأياً نراه أو استنباطاً استنبطناه معاذ الله وانما هى قواعد ثابتة فى اصول الدين وسنن كان لايحيد عنها أحد من المسلمين ومن تصفح تاريخ الاسلام وتتبع حوادث الصدر الأول واستقصى سيرة الصحابة الكرام علم ان ترقى الأمة الاسلامية الى أوج المجد والقوة والمدنية انما كان منشأوه علم السلف بحقائق ما انطوى عليه هذا الدين وسيرهم على سننه القويم امداء مديداً من السنين كما تشهد بذلك بعض الحوادث التاريخية المهمة التي سبق لنا ذكرها كحادث ابي ذر رضى الله تعالى عنه ومالم نذكره كحادث عثمان وكثير من حوادث الصحابة وسيرهم ثم من أتى بعدهم من التابعين والمخضرمين وانما كان أهل ذلك الصدر على بينة من الدين فى كل امر لانهم ابناء اللغة التى نزل بها القرآن وهم باساليبه أدرى وبعلم مافيه أحرى لهذا كان الدين نقياً من

شوائب التأويل سالما من خلاف أهله واختلاف العقول فى فهمه فكان كل مسلم على علم ولو اجماليا من أمور دينه يدلنا على هذا قوله تعالى فى وصف المؤمنين (قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

بهذه الصفات الرفيعة فى العلم وصف الله المؤمنين ومع هذا فلم يكن أحدهم يحتاج فى تعلمه أمور الاسلام الا الي نفحة من نفحات النبي محمد عليه الصلاة والسلام أو اشارة الي قواعده من دعاته من الصحابة الكرام (١) لا الى درسه السنين الطوال وقضاء نصف عمره فى قيل وقال وانما لما امتد الاسلام فى أطراف الارض واختلط الاعاجم على اختلاف لغاتهم بالعرب وفسدت ملكة اللغة وتفرق حفاظ الحديث ورواته فى الممالك احتيج الى العدول عن أخذ الدين من الصدور الى تدوينه فى السطور وتقريبه لافهام الاعاجم بضبط قواعده وترتيبها وايضاح ماغمض على الافهام منها ومن ثم شرع علماء الامة من السلف الصالح [٢] بتأليف الكتب وترتيب المسائل وتبويبها لكن على وجه مجرد عن شوائب الحشو واللغو ليس فيه مايشوش على العقول فى تلقى أمور الدين وأحكامه لان أحدهم كان يقف بالنقل عند النص الدينى يراه أو يسمعه لا يزيد ولا ينقص أي لا يجمع المتفرق ولا يفرق المجتمع ليستخرج

(١) كان الداخل في الاسلام فى الصدر الاول يعلم اركان الاسلام ويحفظ سورة البقرة مع فهم تفسيرها تمام الفهم ثم يشار اليه الي ان الدين هو كتاب الله وسنة رسوله ومتي توقف في فهم شيء منهما فمرجعه الاجماع او قوله تعالي (فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)

(٢) كالامام مالك والزهري وابن جرير وغيرهم من مشاهير ائمة المسلمين من السلف الصالحين

لنفسه حكما أو يضع قاعدة الا ما أتى من النصوص مجتمعا بنفسه أو متفرقا بنفسه وذلك خوف الافتئات على الله والتعدي على مقاصد الشرع والخروج به عن شرعة الحق التى أوضحها الشارع للناس . وهكذا التعليم أيضاً كان على هذه الطريقة بحيث لايحتاج المتعلم فى فهم الدين الى توسيع دائرة الفكر فى اللفظيات وخلط المسائل بعضها ببعض للتوغل فى مناحى التصور فى الجدليات التى تحول دون تناول العقول لمقاصد الشرع الصحيحة . وما أسلمها من طريقة لو استمرت بين المسلمين ولم تمحو أثرها الصحيح أيدى الاصدقاء الجاهلين والاعداء المفسدين الذين ألصقوا بالدين بعد من الاوهام والاضاليل ماليس منه

منى الاسلام بشرازم من الزنادقة فى عصوره المتقدمة أوهم فريق من المنافقين الذين انما دخلوا فى الدين لادخال الشبه على أهله وتضليل العقول بالسفسطة والتغرير لقلب أوضاع الدين أو التشويش على المؤمنين . ومن هؤلاء ناس فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم الا انهم كانوا مقيدين بقيود الهيبة لتوالى نزول الوحي بالدلالة عليهم ووقوف النبي صلى الله عليه وسلم على أحوالهم لاسيما وجدة الاسلام آخذة بالافئدة والقلوب وفطرة أهله سليمة عن الشوائب وعقيدتهم ثابتة لاتسطو عليها الاباطيل فلم يستطع أولئك الناس ان يأتوا من الفتنة فى الدين ماأتاه منافقو الاعاجم بعد الا ماكان منهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من وقوفهم وسطا بين شق الامة وتجاذبهم طرفيها الى فتنة الخلافة التى أنالتهم من طريق السياسة فوق ما يرغبون من طريق الدين وفعلت فى تفريق المسلمين فعلها المعروف فى تاريخ الاسلام حتى تأتي عن ذلك الخلاف السياسي بعد خلاف ديني نشأت

عنه فرق الشيعة والخوارج وغيرهم (١) فضلا عما كان بعد هذا من زنادقة الاعاجم ومنافقيهم ايضاً من الحشو فى كتب الدين والجراءة على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع الاحاديث التى يريدون بها تأييد مذاهبهم والتشويش على المسلمين فى عقائدهم ومن هؤلاء فريق الباطنية الذين كانوا فى العقيدة حلوليين وفى المشرب فوضويين ومع كل هذه الصدمات المنيفة التى صادمت الاسلام فصدمها وارداها واوهن قوى اهلها واوهاها فان أهل الحق من علماء السنة وائمة السلف الصالح كانوا يكافحون هذه الفرق ويمزقون غياهب البدع المكفهرة بسيف الكتاب القاطع وبرهانه الساطع حتى تقوم لهم الحجة وتكون كلمة الحق هى العليا وكلمة الباطل هي السفلى ومن وقف على محنة الامام احمد بن حنبل فى القول بخلق القرآن وما لاقاه من العذاب فى مقاومة أربابه يعلم مقدار تفانى علماء السلف فى الذب عن

(١) ربما يكون من جملة الاسباب التي مهدت للمنافقين سبيل الوصول الى امثال هذه النتائج عدم اشتغال الصحابة بظبط قواعد الرياسة وجزئيات السياسة وتدوينها فى كتب تكون كدستور للعمل بين الامة خصوصا ما اشارت اليه من هذا القبيل السنة النبوية منعا لتلاعب المنافقين بالعقول ودحضا لكل دعوي أوقول يترتب عليه قال وقيل الا ما اتفق على تدوينه من سنة النبي صلى الله عليه وسلم جمهورهم ولا يحمل هذا منهم بعد تنبههم لجمع القرآن الكريم وتفضلهم على الامة بكتابة المصاحف الاعلى الاكتفاء بكليات ماجاء من هذا القبيل فى الكتاب العزيز وقرب عهدهم بصاحب السنة واطمئنانهم من كذب أحد فى شيء منها لسذاجة الدين وصدق الايمان الذي كان عليه المسلمون يومئذ ضف الى هذا انصراف هممهم الى الجهاد ونشر الدعوة تعميما لها ورفعا لشأن الاسلام ولله في هذا شأن هو بالغه

حياض الشريعة ومكافحة البدع وأربابها وكيف كانت كلمتهم هي العليا لما كان الكتاب امامهم والسنة الصحيحة رائد اعمالهم ولكن خلف بعدهم خلف وضعوا أنفسهم فى أحط مايضع انسان نفسه فى هذا الوجود فزعموا ان الكتاب والسنة وبعبارة أصرح ان الاسلام انما جاء ليفهمه فريق من الناس لا يتعدى فهمه الى غيرهم بوجه من الوجوه ثم تدنوا الى أحط من ذلك فحرموا على أنفسهم وعلى الناس العمل بأى نص من الكتاب والسنة والرجوع فى أمور الدين الى التقليد البحت للمشايخ والمجتهدين فكانوا اذا ظهرت بدعة فى الدين أوفتنة بين المؤمنين ولم يكن للمتقدمين فيها كلام مقنع يتسلحون به فى رد البدعة وتقويم ضلال العقول يحيصون حيصة الحمر فلا يجدون لدفع تلك الفتنة من سبيل مع ان كتاب الله بين أيديهم يناديهم بلسان عربى مبين (فان تنازعتم فى أمر فردوه الى الله والرسول)

ومن ثم أخذت تتسرب البدع والاباطيل الى احضان الجامعة الاسلامية تسرب الماء الى أسس الدار ليهوى منها الى الحضيض بكل جدار وجعل يتفاقم شر الوضاعين والوعاظ والقصاصين والمبتدعة المتلبسين بلباس السنة وكثر الحشو فى كتب الدين فاصبحت عقيدة المسلمين خليطا من بقايا تلك البدع الوثنيه التى جاهد فى مدافعتها السلف جهاد الابطال الصادقين ضف الى هذا انقلاب اوضاع التعليم الى مايشبه الببغاء فى تلقينها بعض الفاظ لا تتعداها وجمل لا تنساها يتلقاها الخلف عن السلف والشيوخ عن الشيوخ هذا على ما فى كتب التعليم من التعقيد الناشئ عن كثرة الخلاف اللفظى والمماحكات الواهية وبالجملة فمن اراد الوقوف على مقدار مادخل على المسلمين من الغش فى الدين بتسامح علماء المتأخرين فلينظر الى بعض الكتب التى يتداولها العامة كنزهة

المجالس وتنبيه الغافلين وخريدة العجائب وأنيس الجليس [١] ونحوها ومافيها من الكذب على الحس وليسمع مايتلوه خطباء الجمع على المنابر من الاحاديث الموضوعة والاسجاع المصنوعة التى لاتزيد السامعين الا خبالا ليعلم من ثم الى اى مصير تصير اليه امة هذا شأن علمائها فى التسامح بامثال هذه المنكرات بل هذه العلل القاتلات

لم يقف الجمود بعلماء المتأخرين عند هذا الحد بل تجاوزه الى ماهو اعظم نكالا وأشد فانهم لما استرسلوا بالتقليد وحرموا على انفسهم العمل بنصوص الكتاب والسنة الا ماجاء منها بالعرض عن طريق الشيوخ واصبحوا حيارى فى مدافعة البدع والاضاليل التى خالطت اوهام المسلمين وأدنتهم من الوثنية بمقدار ما أقصاهم عنها الاسلام ألف بعضهم من هذه البدع ماألفته نفوس العامة ونزلته منزلة العقائد الدينيـة وفيها مايصادم اصول الدين فجعلوا يبدعون كل منكر لهـذه البـدع قائل بالرجوع الى سـذاجة الدين والعمل بالكتاب والسنة وسـيرة السلف الصالحين . ويستعلمون فى تبديع من هذا شأنه من أساليب التعسف مايشعر بتناهي ضعف العلم وفساد ملكة الحق عند المتأخرين [٢] يدلك على هذا ان أحدهم لما يريد تبديع منكرى هذه البدع أو تكفير

---

(١) ويوجد كتب كثيرة خصوصاً من التفسير محشوة بالاسرائيليات كتفسير الخازن وأشباهه مما لاحاجة الى ذكره خوف الظن بنا بان ممن يتحامل على أهل العلم

(٢) ان كثيراً من ائمة المتأخرين الذين دققوا فى حالة العلم والتعلم شهدوا بضعف أمر العلم عند المتأخرين وفساد ملكات التعليم ومنهم العلامة بن حزم والشاطبي حتي ان الأول وضع كتاباً خاصاً في أصول التعليم لما رأى من اضطراب أمره عند المتأخرين ولكن وياللأسف لم يطبع هذا الكتاب الى الآن وتوجد منه نسخة صحيحة في مكتبة جامع الزيتون بتونس

مجتهد بمسئلة من المسائل مثلا ويرى ان أدلتهم من الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة وانه لاسبيل له الاتيان بدليل منهما يضاد أدلتهم لان النص الصحيح لايضاد النص الصحيح يعمد الى حديث موضوع أوقول من أقوال الشيوخ فيجعله حجة له على أولئك بازاء حججهم من الكتاب والسنة الصحيحة أو يجمع نصوصا متفرقة يقصد كل منها بمعناه وجها مخصوصاً فيستنتج منه حكماً يطابق هواه مخالفاً فى هذا طريقة السلف كما سبقت الاشارة اليه . ولم هذا ؟ لانه لم يلتمس فى مناظرته بيان الحق وتمحيص الحقائق وانما هو يلتمس رضاء العامة بمجارات أفكارهم ابتغاء الزلفى عندهم وتعظيمهم له أو هو يحاول التماس المعذرة امام النفس التى تجلى لها الحق فيصدها عنه مرغما بحكم العادة والتقليد (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)

ومن أراد شاهداً على هذا فليراجع كتاب (جلاء العينين فى محاكمة الاحمدين) ليرى كيف ان بعض العلماء المعاصرين لشيخ الاسلام بن تيمية كفر تعسفاً وافتراء هذا الشيخ الجليل المعدود من نوابغ علماء الاسلام وائمة الهدى المصلحين لتفرده فى عصره بالانكار الشديد على أهل البدع التى انتشرت يومئذ بين المسلمين وبيان ما أصبحت عليه الأمة من الزيغ فى العقائد عن طريق الصحابة والتابعين حاثاً على الرجوع الى سذاجة الدين وتطهير العقيدة من شوائب المبتدعين مستنداً فى كل ماقاله واملاه على الكتاب العزيز والسنة الصحيحة

فهل بعد تكفير من يقول بمثل هذا القول من حجة على فساد ملكات العلماء وانحطاط درجة التعليم بين المسلمين ؟ وهل يعجب من تدنى عامة

الأمة الى الدرجة التى هم فيها اليوم من فساد العقيدة والاخلاق بعد وصول علمائهم الى هذا الحد من سوء التعلم والتعليم

المقالة الثامنة

(١) اعتذار عن نقد اعمال العلماء وحصر التبعة فيهم وان كان لهم فيها شركاء وهم الامراء • الحدود التي وضعها الاسلام للامراء • حقوق العامة قبلهم وظيفة العلماء في اقامة حدود الشرع والاخذ على أيدي الظالمين تساهل علماء المتاخرين بهذه الوظيفة وحرص المتقدمين عليها واداؤهم لواجب المناصحة فيها • وضعهم لكتب مستنبطة من اصول الشرع في تحديد الوظائف وتوزيع أعمال العمال تجرد كثير من علماء السلف لتقويم أود الامراء • ضياع العلم الصحيح عند المتأخرين • اشتغالهم بالاختلاف عن الائتلاف تخاذلهم في التشيع للمذاهب • اغتنام الامراء فرصة هذا التخاذل • تجاوزهم في الحكم حدود الشرع • ايغارهم للصدور وتفريقهم لشمل الامة • انقسام دول الاسلام على بعضها وتلاشي قوي المسلمين • وقوف العلماء فى هذا الوسط المظلم وامام هذا البلاء المؤلم وقوف الحائر عن الحق المقيد بكل قيد مهين لا وقوف الناصح الامين

علم الله انا ما تعرضنا فى الفصل السابق لنقد اعمال العلماء وبيان ما ترتب على تسامحهم من المضار فى شؤون الامة الا استقصاء لاسباب التقهقر وتتبعاً لمرض المسلمين الذي فت فى عضدهم وأفسد دم الحياة فيهم وضرورة البحث فى نفسها داعية لبث ما في الضمير من آلام المشاهد الحاضرة التى تحيطنا بمنغصات الحياة انى التفتنا وحيثما كنا وهذه حالة ولا صبر على الضر لا يرضي

بها بشر ولا يسكت عليها مؤمن يعلم ان لا بد من العمل حتما جاء فى الكتاب الكريم والا خرج عن الايمان وتبرء منه الاسلام ومنه ما خاطب الله به المؤمنين (فلتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

نعم انا حملنا علماء المتأخرين من تبعة ما أصاب المسلمين من جراء تسامحهم الدينى ما ربما ينكره علينا علماء هذا العصر لا سيما وان للامراء من جهة تسامحهم السياسي نصيباً جماً من ذلك الوزر لكن المنصف اذا امعن النظر فى أصول الدين من الكتاب والسنة وراجع تاريخ السلف يري ان التبعة ألصق بالعلماء منها بالامراء وان كانوا بهذا الوزر جميعاً شركاء وبيانه بوجه الاختصار

ان الاسلام جاء باصول الحكمة فى تحديد الحقوق والواجبات فلم يدع لاحد على أحد سلطانا الا فى حد يقام أو حق يسترد وأناط هذا بالوازع دون ان يخوله حق السيطرة على النفوس والاعمال بوجه من الوجوه بل خوله حق الهيمنة على تنفيذ قوانين الشرع واحكامه على شرط الاهلية وان لا يتجاوز حد الهيمنة الى الاستئثار بالسلطة أو العبث باحكام الشرع تطلعاً الى سلطان الرياسة المطلق وتصريفا لامور الرعية على مقتضى الهوى وتبعا لاغراض النفس النزاعة الى الشر وحب الاستعلاء بالطبع سيما من اولياء الامر اذ ليس أشد قضاء علي العقل وقتلا لعواطف الناس من سلب حرية الضمائر ونزع ارادة النفوس بفاعل السيطرة والاستعباد ودفع هذا البلاء كان من أهم مقاصد الاسلام التى ترمي الى غاية واحدة وهى سعادة المسلمين فى الدارين وراحتهم في الحياتين لهذا كان أساس الدعوة الى الدين التبليغ دون الاكراه فقال تعالى فى الوجه الاولى خطابا للنبي عليه الصلاة والسلام قال (يا ايها

النبي بلغ ما أنزل اليك من ربك) وقال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقال تعالى فى الوجه الثانى (لست عليهم بمسيطر) وقال تعالى (ما أنت عليهم بوكيل) هذا فى الرسالة فما بالك به فى الامارة . انها أولى بمثل هذا القيد لانه فى الحقيقة تشريع لقاعدة الرياسة فى الاسلام والاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام وبيانٌ الى ان الشرع وحده هو الكفيل براحة الناس وان الوازع خادم للشريعة لا الشريعة خادمة له كما في سائر شرائع البشر عند الامم السالفة التى لم يراعى فيها الاّ جانب الرياسة وهواها لا جانب الشعب وراحته لهذا ولكي تصان قوانين الشرع وقاعدة الرياسة عن عبث الامراء أوجب الاسلام على المسلمين عامة تكافلهم على قيام شرائعه وقامة حدوده بلا محاباة حتى من كل مؤمن لنفسه كما يشير اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى خطابا للمؤمنين (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم) وقوله تعالى (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) الآية وقال النبي عليه الصلاة والسلام (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الايمان) ألا يكون بعد هذا ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خروج عن الايمان بعد اذ جاء ان انكار المنكر فى القلب من اضعف الايمان أليس فى علم المسلمين بهذه القاعدة قاعدة التكافل على اقامة حدود الشرع ما يكفى لتخويلهم الحق الصراح بالاخذ على أيدى الامراء فيما لو عبث احدهم بحق من حقوق المسلمين أو قاعدة من قواعد الدين وذلك الحق نفسه هو الذى سوغ لذلك الاعرابى ان يقول لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه جوابا عن خطبته الشهيرة (والله لو

وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا)

ان من وقف على اصول الدين الاسلامى ونظر الى تاريخ المسلمين وسيرة سلفهم الصالحين وكان غريباً عن هـذا العالم الارضى لا يكاد يصدق ان المسلمين فرطوا بكل شئ وفقدوا من مزايا شريعتهم السمحاء كل شي فتخلفوا وراء الامم واشرفوا بعد ذلك السمو الباذخ على هوّة العـدم ولو بحثنا عن سبب تناسيهم لتلك الحقوق المفروضة واعراضهم عما أوجبه الشرع من فهم تعاليمه السامية الحميدة لما وجدناه الآ العلماء لانا قدمنا أن المسلمين فى صدر الاسلام كانوا على بصيرة من الدين وفهم لمعانى الـكتاب واحكام الشريعة ثم احتيج فيما بعد الى ضبط قواعد الدين وتفهيمها للعامة بواسطة العلماء بسبب انتشار الاسلام بين الامم على اختلاف لغاتهم ودخول العجمة فى اللسان وفساد ملـكة اللغة وقد فعل علماء السلف ما يجب عليهم من هذا القبيل كما رأيت فى ماتقدم وبذلوا جهدهم فى تفهيم العامة أمور دينهم وما ينفعهم فى معاشهم ومعادهم على الطريق الاقوم والسبيل الاسلم كما انهم لم يدعوا سبيلاً لأولياء الامر فى الاسلام لانتهاج مناهج الهوى وتنكب طرق الشرع فى سياسـة الأمم حتى ان أولئك العلماء الاعلام لما رأوا من ضرورة اتساع الملك والتبسط في مناحى الحضارة والعمران تعدد وظائف الامير الى حد لا يستطيع معـه القيام بشؤون المسلمين قياماً لا يعتوره خلل فى أصول الادارة أو زيغ عن مقاصـد الشرع استنبطوا من اصول الشريعة قواعد وأحكاماً تقضى بتوزيع أعمـال وظيفة الامير على افراد يكونون متـكافلين معـه على اقامة حدود الشريعه مسؤولين معـه عن كل ما يمس بحقوق الرعيـة وهم وزراء التفويض الذين تشبه وزراتهم وزارة الحكومات النيابية فى هذا العصر

بما يسمونه الوزارة المسؤلة ووضعوا لهذا كتبا مخصوصة وقوانين مضبوطة تحدد وظائف العمال منعاً لتنازع الاختصاص فى الوظائف الادارية والقضائية والسياسية والحربية وتعين على ترتيب اصول الجباية كالاحكام السلطانية لابى يعلى وللماوردى والخراج لابى يوسف وغيرها من الكتب التى ترك العلماء تدريسها والاشتغال بها منذ مئات من السنين تبعاً لاغراض الامراء المستبدين وتسامحا بحقوق الاسلام والمسلمين مع ان علماء السلف فضلاً عن عنايتهم بضبط امثال تلك القواعد وترتيب مسائلها وتبويبها فى الكتب ونشرها بين الناس كان فريق من افاضل صلحائهم واهل التقى والارشاد منهم كالحسن البصرى وابى سفيان الثورى ومن أتى بعدهما من أهل التقى والصلاح ممن لاتأخذهم الرهبة الاّ من الله ولا يحابون فى الحق ولو كان فيه ذهاب أنفسهم يعظون دائماً الامراء والملوك ويذكرونهم بلزوم شرع القرآن وسطوة العظيم الديان بنصائح تنسل منهم حبات القلوب وتطوى جوانحهم على الرهبة والخشوع لملك الملوك وجبار السموات والارض فكانوا يعلمون أن لهم حدوداً لاتتعدى وللرعية حقوقاً لاتهضم فلا يجسر أحدهم على اتيان أمر يخالف قاعدة العدل فى الاسلام الاّ خاسة من الرقباء أو تذرعاً بفتوى بعض جهلة الفقهاء

ما الذى طرء بعد هذا على المسلمين فأفسد عليهم أمراءهم وطامن من اشرافهم ومكن يد الاستبداد والظلم منهم أهل رفع من بين أيديهم الكتاب الذى هو امامهم وزالت احكام الشريعة التى هى كافل سعادتهم ؟ معاذ الله وانما هو تسامح علماء الخلف باقامة شعائر العلم الصحيح على الوجه الذى كان عليه السلف واعراضهم عن الرجوع الى أصول الدين فى مسائل الخلاف

التي شوشت على الأمة وتضييقهم على المسلمين فى أمور الدين بتوسعهم في المندوبات واقامتها مقام الواجبات وتقيد كل فريق منهم بقيود التقليد الاعمى (١) فى الفروض والاحكام مما اوجب تخاذلهم فى التشيع للمذاهب كأنها ليست بدين واحد تأخذ من مصدر واحد كل هذا اذهب معارف الناس باحكام الدين الصحيحة ففسدت أخلاقهم وخسروا دينهم ودنياهم وكانت هذه الفوضي فرصة يترقبها الامراء بعين لا تنام فغنموها ونسوا حظاً مما ذكروا به فتجاوزوا حدود الهيمنة العادلة الى الاستبداد المطلق وحكم الناس بمقتضى

---

(١) ان القصد الحقيقي من التقليد ما كان عليه علماء المتقدمين من الاقتداء استهداء بفضل الائمة لا التقليد الاعمى الذى صار اليه المتأخرون والفرق بين الامرين ظاهر لان المقتدى انما يقتدى بامامه فيما صح فيه الدليل عنده والا فامامه الكتاب والسنة يرجع اليهما عند تعارض القول والنص حذراً من التحكم فى الدين والقول بالترجيح بلا مرجح وعلماً بان الائمة أنفسهم نهوا عن العمل بقول من أقوالهم مالم يقم عليه دليل من الكتاب أو السنة واما التقليد الذي جري عليه المتأخرون فانه محض تحكم فى الدين وخروج عن سنة المتقدمين ولا تعليل له الا انه ستر للجهل الذي أفحشه سوء التعليم وكثرة الحواشي والشروح بدليل ان العلماء الآن لا يستطيع أحدهم تقرير بعض المسائل من الاصول أو الفروع أو اللغة الا اذا استعان بالحاشية وراجع ماقاله الشيوخ خصوصاً فى فنون اللغة التى هي مرقاة العلم بالدين ومفتاح الكتاب والسنة فترى أحدهم يدرس من فنون البلاغة المطول أو الاطول كما يملى عليه المؤلف والمحشى حرفاً بحرف لانه لم يتعلم فى كل أيامه الطويلة شيئاً من البلاغه فهو لو كلف لكتابة كتاب بسيط لما استطاع اجادة كتابته وأيّ وهن فى الدين وبلاء على العلم ومصيبة على المسلمين من حال جعلتنا كالببغاء نلقي مايملى علينا من غير فهم لمعانيه وتفهيم لها وأيّ دليل على ستر الجهل بغشاء التقليد الاعمي أعظم من هذا الدليل

الشهوة واصول العادات الاعجمية فأفسدوا عليهم النيات وافترقت بسببهم الجاعات فانحلت جامعة الاسلام وقامت مقامها العصبيـة القومية والتشيعات المذهبية فاتسع المجال للمتغلبة وطرار الآفاق ممن ليسوا بأهل لتولى شؤون الأمم واحسان سياسة الملك فتولى منهم ناس اقاموا القـوة مقام الحق والسيف مقام القسطاس اجيالا متطاولة كان في غضونها العلماء لاهين بالخلافات المذهبية يشتغل كل فريق منهم لخذلان الفريق الآخر حتى خذلوا الأمة باجمعها فسلّط عليها الشقاء وتمكنت منها أيدى الظلمة والامراء مع ان الاسلام دين واحد لا يقبل الخلاف وصراطه مستقيم لا موجب اسالكه الى الاعتساف

تفرق المسلمون شيعاً فى الدنيا كما تفرقوا شيعاً فى الدين فكان لهم فى قطعة صغيرة من الكرة كآسيا الوسطي بضعة عشر ملكا (١) يحكم كل ملك منهم اقواما يسوقهم الى قتال اخوانهم فى الدين ويرد بهم موارد الهلكة فى كل حين وهم بين يديه كالآلة الصماء يديرها كيف يشاء لتمزيق الوحدة الاسلامية

(١) ان سبب انقسام دول الاسلام هذا الانقسام وفوضى الملك والسياسة بين أمراء المسلمين هو فقد التربية السياسية العلمية من قصورهم وانكماشهم وراء حجب العظمة والترف عن التطلع الي احوال الرعية والوقوف على حاجات كل قوم وكل زمان وهـذه أعظم آفة دبت في جسم السلطة الاسلامية بعد آفة الاستبداد المطلق وغب انتزاع هذه السلطه من الخليفة العاشر أو ما بعده من بني العباس وتوزعها بطريق الغصب بين افراد من زعماء الجند الدخلاء الذين تجردوا عن سائر معانى الرياسة المدنية فلم يعبأوا بغير قوة السيف فجودوه لسياسة الرعية والملك وتجاذب اطراف الامارة ولو على الحجارة ومن ثم استحكمت شكيمة الظلم المفسد للاخلاق وانحطت المدارك عن مقام العرفان بواجب الراعى والرعية وتسلسل مرض الجهل فى الاعقاب تسلسلا بلغ الغاية التى لم يعـد يري

وهتك حرمة الاسلام . فماذا كان يعمل العلماء وهداة الامة فى ذلك الوسط المظلم الآخذ بالنفوس مآخذ الهوى القاذف بالمسلمين الى هوّة التدمير المسجل عليهم شقاء الحياتين وعناء الدارين هل كانوا وهم حملة علوم القرآن يعملون بما اوصاهم به الرحمن (انما المؤمنين اخوة فأصلحوا بين اخويكم) أم كان كل فريق منهم يتشيع لقومه وأميره وربما يقول بتكفير ذلك الفريق من المخاصمين ولا يعلم ان كان فى قوله على هدى أو فى ضلال مبين وان اثم القاتل والمقتول فى عنق حملة علوم الدين الذين أخذ الله عليهم العهد ببيان احكامه وتفهيمها لعامة المؤمنين بقوله تعالى (واذا اخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه)

ان الاسلام ليبرء الى الله من المنتسبين اليه المنتصريين لسواه من الجبابرة العتاة والامراء البغاة الذين مزقوا شمل المسلمين وساقوهم بقوة القهر المميت لخلق الشهامة والشمم الى موارد الشقاء التى يتجرعون غصصها فى هذا العصر ويشربون من كأسها المر شرابا كالمهل واذا استغاثوا بالعلماء قالوا لهم افزعوا الى قبور الاموات فانها تدفع وتنفع وليس لكم فى الاحياء مطمع واذا استغاثوا بالامراء زادوهم عذابا وأوسعوهم ارهاباً وقالوا هذا جزاء من اتخذوا

المسلمون بعدها خليفة كالمأمون في الشرق أوعبد الرحمن الناصر الاموي في الغرب تمكنت منهما تربية النفوس على مبدأ العلم بكل مايحتاج اليه الملك وتقوم به دعائم مجد الدولة ويمتد ظل العمران فبلغت بهم سطوة الاسلام مبلغا لو عقله من جاء بعدهم من امراء المسلمين وخلفائهم لما فقدوا الشعور بمعني السيادة التى لايضام اهلها جانب ورضوا بحكم الجهل والانقسام والتغالب على رياسة اصبحت محفوفة بالخزي والآثام من جراء فساد التربية وانحطاط المدارك والاخلاق ولله في هذا شأنه هو بالغه

اولياءهم ارباباً ومن يدع مع الله اله آخر فحسابه على ربه (ولن تجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً)

لا جرم ان أمة تتخبط فى هذه الظلماء وتضطرب منها هذا الاضطراب الدهماء لامة أضلها الرؤساء سبيل الحق وحجبوا عنها مصابيح الرشاد فساغ لكل ذى وجدان طاهر وضمير حساس وايمان صادق ولسان يقول الحق ولو كان فيه اذهاق النفس وفقد الحس ان ينادى على ملأ المسلمين ويتلوا بلسان عربى مبين (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل)

﴿ المقالة التاسعة ﴾

نتائج ابحاثنا في المقالات السابقة • خطر الداء الملم بالمسلمين • وجوب بحث الحكماء والعلماء عن الدواء • عدم تيسر هذا للعلماء مالم يخرجوا أنفسهم من دائرة التقليد • عدم تعذر الالمام بعلوم الدين وتيسر الاجتهاد • مطالبة القرآن بفهمه سائر المسلمين الاجتهاد أمس واليوم • اذا لم يكن اجتهاد فتوسيع لدائرة النظر فيما لابد من النظر فيه من أمور الدين • فائدة هذا فهم مالم يفهم بعد من القرآن الكريم وتفهيمه كما ينبغي ان تفهم • وجوب الاشتغال بشطر الحكم كما اشتغل بشطر الاحكام من القرآن • مضرة ضن علمائنا بتدريس فن التفسير أو التقيد بما قاله المفسر أصاب او أخطاء • لو اعتني بتفهيم القرآن لما وقع المسلمون في هذا الخسران • تقصير العلماء في مطاردة البدع والمبتدعين واطلاقهم العنان للوعاظ والقصاصين • وهذا من الاسباب العظيمة فى انحطاط المسلمين حالة المسلمين اليوم مسؤلية العلماء ذكر بعض الاودية لذلك الداء

هذا بيان للمسلمين يمثل مقاصد الاسلام فى حياة بنيه الاجتماعية وينبئ عن تقلب احوال المسلمين الدينية والدنيوية بأخصر عبارة يمكن ان يأتي بها

الكاتب فى مقالات تسع . والا فالبحث بعيد مدا الغور كثير الذيول والاطراف لاتحيط باستيفائه الا المجلدات . ومن هذا البيان نستنتج أموراً

منها ان الاسلام جاء باصول السعادة التى تحاول الوصول اليها الامم المتمدنة فى هذا العصر من طريق العقل لتعيش عيشة الاشتراك التى كانت للمسلمين فى صدر الاسلام . وان فى مبلغ ما وصلت اليه عقول علماء تلك الأمم وباحثيها من تلك الأصول شوائب تصادم سنن الطبيعة واحكام العقل خلافا لما جاء به الاسلام وقرره من مطالب الحياة الاجتماعية الكافلة بسعادة الدارين

ومنها ان المسلمين مع قصر الزمن الذى كانوا به عارفين بالدين واقفين على مقاصد الاسلام بفهمهم لمعانى الكتاب والسنة وعملهم بهما تيسر لهم ان يدوخوا معظم ممالك الارض ويؤسسوا بناء الدول على دعائم العدل ويشيدوا صروح التمدن العربى على أساس العلم بحاجات الانسان فى وجوده المدني والدول فى كيانها

ومنها ان المسلمين لما كانوا عارفين بحقيقة الاسلام عاملين بمقتضى اصوله الصحيحة كانوا أعرف بالواجبات والزم للحدود الشرعية واكثر معرفة والماما بالحقوق الفردية والاجتماعية وتمسكا بها واداء لاماناتها وأسلك لطرق السعادة فى المعاش والمعاد وأرغب بالاستقلال الذاتى فى الشؤون الخاصة والاخاء العام الاجتماعى فى الشؤون العامة وأحسن عهد بهذا عهد الصحابة والتابعين

ومنها انهم انما استخضعوا لسلطانهم أمم الارض بقانون العدل والمساواة في سائر الحقوق التى يشترك فيها ابناء المجتمع الواحد بلا استثناء ولا تفاوت بين طبقات الناس ونحلهم حسبما قرره شرع الاسلام العادل وعدله الشامل

ومنها ان للمنافقين الذين دخلوا فى الاسلام بقصد التشويش على أهله سواء كانوا من العرب أو من الاعاجم يداً في انحطاط المسلمين بايقادهم جزوة الخلاف الديني والسياسى بين الامة منذ نشأتها وما بعد

ومنها ان المسلمين فى عقائدهم اليوم غيرهم بالامس لما دخل عليهم من البدع التى شوشت على عقول الباحثين أمر الوقوف على حقيقة الاسلام فحكموا بتقهقر المسلمين بسبب الدين بمجرد وقوفهم على ظواهر أعمال المسلمين افتراء على الاسلام الذى يبرء الى الله من كل ما يخالف طريق العلم والعقل

ومنها ان علماء السلف أدوا الواجب عليهم من خدمة الدين وتقويم أود المسلمين ومدافعة مفتريات المنافقين وبدع المبتدعين ابان ظهورها بين المسلمين كما أدوا الواجب بتدوين علوم الشريعة وضبطها وترتيبها على أحسن وجه مبرء عن الحشو واللغو اللذين ينافيان قواعد التعليم والتفهيم

ومنها ان الحشو الذى أدخله فى كتب الدين مؤلفوا المتاخرين وانتشار كتب القصاص والوضاعين وتداولها فى ايدى الناس ألصق بالدين ماليس منه وشوش على العقول فى تناول الاصول الصحيحة من الدين كما ألصق بالنفوس من الاوهام مايبرء منه الاسلام

ومنها ان علماء المتأخرين بتحريمهم على أنفسهم فهم الكتاب والسنة ومجاراتهم لافكار العامة فى قبول البدع التى ينكرها الشرع ومداجاتهم للامراء وتهافتهم على امور الدنيا وسكوتهم عن انكار المنكر جعلهم مسؤلين وحدهم عما أصاب المسلمين بعد من الوهن والفتور وقعد بهم عن تناول العلم الصحيح ومجاراة الأمم التى تزاحمهم في مضمار الحياة

ومنها ان الامراء اغتنموا فرصة ذلك الفتور الذي أصاب الأمة وعلماءها فحولوا قواعد الحكم وسياسة الامارة عن الاصول الاسلامية الى التقاليد الاعجمية التى من مقتضاها تصرف الرئيس بالمرؤس تصرف السيد بالعبد لا قانون شامل ولا شرع عادل مما أودى بالأمة الى مصارع الهلكة التى تتخبط فيها اليوم

اذا تقرر هذا علمنا ان داء المسلمين عضال اذ لم يتلاف بالدواء الناجع قضى على بقية الامة كما قضى على قسم عظيم منها اصبح مستبداً الاجنبي محكوما بقوة القهر وليس لهذا الدواء الا حكماء الأمة اذا بحثوا عن تركيبه وعلماؤها اذا خافوا الله أكثر مما يخافون من سطوة الامراء وتجردوا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة شعائر الدين والتعاون على احياء سننه على الوجه الذى بينه القرآن وفسرته سنة النبي عليه الصلاة والسلام وعمل به الصحابة الكرام ولا سبيل لهم الى هذا الامر الا اذا أخرجوا أنفسهم من دائرة التقليد البحث[1] التي وضعوا أنفسهم في حلقتها الضيقة توهما منهم أنهم ليسو المخاطبين بفهم القرآن بل المخاطب بهذا نفر قليل من علماء

---

(١) لاندرى ما هو الباعث لبعض المتفقهة على انكار الاجتهاد وتحريمه على غير أئمة المذاهب والمبالغة فى التقليد الى درجة حملت بعض المستشرقين من الاو ربيين على الظن بان الفقهاء انما هم يعتقدون فى الأئمة منزلة التشريع لا بمنزلة الضبط والتحرير وهذا وان يكن سوء ظن أوجبه الفقهاء أنفسهم الا ان الحقيقة ليست كما ظنه ذلك المستشرق معاذ الله لان الشارع واحد والشرع كذلك والأئمة لم ينهو أحداً عن العمل بالدليل والرجوع الى الكتاب والسنة اذا تعارض القول والنص ومن كلام الامام الشافعي بهذا الصدد • اذا صح الحديث فهو مذهبي • وقال • اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي عرض الحائط • ومن كلام الامام الاعظم

المسلمين والأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين وتالله ليأبي ان يضع نفسه هذا الموضع الا قليل مادة العلم والا فاى حرج على من وقف على دقائق الكتاب الكريم وعلوم السنة النبوية فى رجوعه الى مآخذ المتقدمين من الكتاب والسنة وعمله بنصوصهما عند الحاجة أو عند وجود الخلاف وتعارض الاقوال فان الدين لم يحرم على العلماء ماحرموه على أنفسهم بل الدين طالبهم بفهم الكتاب والسنة ولم يخاطب بهذا طبقة مخصوصة من المسلمين بل خاطب سائر المؤمنين (ياايها الذين آمنوا) ياأهل الكتاب (يا ايها الناس) وليس فى الاحاطة بالسنة من الصعوبة الآن اذا صححت أصول التعليم ماكان فى ايام السلف يوم اذ كان أحدهم ينتقل من قطر الى قطر ومن مصر الى مصر لاجل تاقى حديث واحد أو تصحيحه وجزا الله ذلك السلف خير الجزاء فانهم جمعوا لنا كل شئ ورتبوه وضبطوه وميزوا صحيحه من عليله حتى سهلوا للمتأخرين تناول علوم الدين وكان من ذلك ان كثيراً من علماء المتأخرين كأبن حجر وشيخ الاسلام بن تيمية يحفظ كلما جمعه المتقدمون من الاحاديث الصحيحة والموضوعة حتى قالوا عن الاخير ان كل حديث لم يحفظه ابن تيمية فليس بحديث . وفى هذا العصر سهل تناول العلوم أكثر مما تقدمه من العصور بواسطة المطابع التى يسرت وجود الكتب بكثرة من كل علم وفن وانما

قوله . لا ينبغي لمن لا يعرف دليلى ان يأخذ بكلامي . لهذا كان من جاء بعدهم من أصحابهم أو من يوازيهم فى العلم من المرجحين يخالفون أئمتهم فى كثير من الاحكام التى لم يتقيدوا بقول امامهم فيها لما قام لهم الدليل على مخالفتها لظاهر النص وانما بعض الفقهاء الذين يسترون جهلهم بالتقليد ينتحلون لدعواهم التقيد بقول الامام دون نص الكتاب أو السنة اعذاراً لا يسلم لهم بها أحد من ذوى العقل الراجح من افاضل المسلمين وعلمائهم العاملين الذين هم على بصيرة من الدين

هناك امر يحتاج الى قليل من العناية وهو اللغة التى يجب اتقانها على العلماء والمدرسين اتقاناً يتيسر لهم به فهم الكتاب وتفهيمه كما يجب ان يفهم ولا يتسنى لهم ذلك الاّ بهجر طريقة التعليم العقيم الذى انتجته جهالة القرون المتأخرة وترك الحواشى والشروح (١) التى لا تزيد الطالب الا ارتباكاً فى نفسه واضطراباً فى تحصيله واتخاذ طريقة جديدة فى أصول التعليم وعلى الاخص فى اللغة اذ على اتقان اللغة يتوقف فهم الكتاب كما ان اللغة عند كل الأمم من مشخصات حيات الشعوب الاجتماعية والقومية فكلما ترقت اللغة عند قوم حكم بترقيهم وتوثق عرى مجتمعهم والعكس بالعكس

ربما يظن العلماء انا نطالبهم بفتح باب الاجتهاد المطلق الذي يزعمون انه أرتج دونهم برتاج من الحديد (٢) ومع انه ليس فى هذا من حرج او مانع من

---

(١) ان ما سببته هذه الحواشى من اضطراب حبل التعليم أمر لا يحتاج الى دليل أكثر من المقابلة بين علماء السلف والمتقدمين وبين علماء المتأخرين ليعلم الفرق بين الفريقين من حيث سعة الفهم والعلم ومن حيث سهولة ماوضعه المتقدمون من الفنون التي بلغت بالمتقدمين أقصي درجات العرفان دون أن يكون لديهم شئ من هذه الحواشي والشروح وانما هو حسن التعليم والاعتماد على الكفايه من كل فن أوجد فى العلماء ملكات الالقاء على أتم الوجوه فافادوا واستفادوا الى درجة يشهد بفضلهم فيها ماحازه الاسلام وأهله فى تلك العصور من الأبهة العظيمة والرقي العجيب فى سائر الفنون العملية والنظرية ولله فى خلقه شؤون

(٢) يعتذر بعضهم عن سد باب الاجتهاد بسد باب الخلاف وجمع شتات الافكار المتأتى عن تعدد المذاهب والحال ان الاجتهاد على طريقة السلف لا يؤدى الى هذا المحذور كما هو مشاهد الآن عند الزيدية من اهالي جزيرة العرب وهم الذين ينتسبون الى زيد بن زين العابدين لا زيد بن الحسن المذكور فى حواشي الدر فان دعوى الاجتهاد بين علمائهم شائعة مستفيضة وطريقتهم فيه طريقة السلف أى انهم يأتون بالحكم معززاً

الدين يمنعه فنحن لانطالبهم به وانما نطلب منهم توسيع دائرة النظر قليلا فيما لابد فيه من النظر ولو عند تعارض الاقوال والنصوص ليتيسر لهم التزحزح ولو قليلا عن مستقر التقليد البحث الذى يكون فى حال عدم البحث عن صحة الدليل تحكم فى الدين والدين أمر خطير يحرم التحكم فيه . ومتى تزحزحوا عن مقرهم التقليدى قليلا تسنى لهم فهم كثير مما لم يفهموه من القرآن كما فهم غيرهم من السلف ولا يزال يفهم الباحثون وأهل العلم الصحيح والعقل الراجح لعلمهم انهم مطالبون بفهم كل كلمة فيه لاعتبار انها من الدين مادام الدين هو هذا الكتاب الكريم الذى قال الله تعالى فيه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

بالدليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع وليس بعد ايراد الدليل مع الحكم ادنى طريق للخلاف أو الاختلاف اللهم الا فيما لم يوجد بازائه نص صريح او اجماع من الصحابة أو التابعين واحتيج فيه الى الاستنباط من اصول الدين وليس فى هذا من الخطر او تشتت الافكار ولو جزء يسيرا مما فى طريقة الترجيح والتخريج عند الفقهاء الآن على أصول أي مذهب من المذاهب الاربعة ويكفى ما فى هذه الطريقة من تشتت الافكار خلاف المخرجين والمرجحين فى المسئلة الواحدة خلافاً لاينتهي الى غاية يرتاح اليها ضمير مستفيد لقذفهم بفكره فى تيار تتلاطم امواجه بين قولهم المعتمد والمعول عليه كذا والصحيح كذا والاصح كذا والمفتى به كذا الى غير ذلك من الخلاف العظيم في كل مسئلة لم ينص عليها الامام نصاً صريحاً ولا يخفى ما في هذا من الافتئات على الدين مما لا يعد شيئاً في جانبه خلاف الائمة المجتهدين . ومنشأوه التقيد بالتقليد البحث وعدم الرجوع الى الكتاب والسنة ولو عند تعذر وجود النص ومع هذا فانهم يرون هذا الافتئات على الدين من الدين ويوجبون على المؤمن العمل باقوالهم بلا حجة تقوم لهم ولا له يوم الدين مع ان الله تعالى يقول فى كتابه العزيز (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) وفى هذا دليل على فساد التقليد وان لابد فى الدين من حجة ثابتة لهذا كان التقليد البحث لا يرضاه لنفسه الا عامى أعمى أو عالم لم يصل الى مرتبة كبار

عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

ومادام ان الله سبحانه وتعالى أتم لنا نعمة الاسلام بهذا القرآن أفلا ينبغى علينا فهمه وعلى علمائنا تفهيمه على الوجه الذى ينبغى ان نفهم منه ان القرآن فضلاً عما جاء به من أحكام العبادات والمعاملات التى يشتغل بتدريسها لاغير علماؤنا الكرام فقد ضرب لنا الامثال وقص علينا اخبار الاولين لنقف على اسباب عروج الأمم الى أوج السعادة وهبوطها الى حضيض الشقاء فنحذوا حذو السعداء ونجتنب مصارع الاشقياء وحثنا على الانفلات من قيود العبودية الا لله سبحانه وتعالى لكى نمحو عن صفحات القلوب كل أثر من آثار الخضوع لاى نوع من انواع السيطرة الكاذبة سواء كانت على النفوس أو الاشخاص ونهانا عن التخرص والجدال بغير علم والقول بغير دليل كى لا ينطبع فى نفوسنا خلق العناد والمكابرة فى الحق فيجرنا الى تنكب الصراط المستقيم والمتحكم في الشرع القويم ودعانا الى طلب الدليل فى كل شئ وعلمنا طلب البرهان على كل شئ كي لا نستسلم للاوهام وتحط منا المدارك والافهام فيتخبطنا شيطان الجهل والغرور ويحشرنا أحياء مع سكان القبور . ورغبنا بالتفكر فى انواع خلقه والوقوف على اسرار مخلوقاته من طريق العلم لنستخدم منها ماشئنا فى منافعنا الدنيوية ونشهد بعظمته الصمدانيه ونقف على عظيم قدرته فى تدبير الكون وترتيب سنن الطبيعة . وأمرنا بالتعاون على الخير وترك التعاون على الشر لنعرف معنى الاخاء الاسلامي ونجتنى ثمرة التعاون الاجتماعي ويعلم كل

الفضلاء من عقلاء المتقدمين والمتأخرين الذين لم يرضوا لانفسهم التقليد البحث كالامام الغزالى وابن حزم والامام السيوطي وشيخ الاسلام ابن تيمية والشوكاني وغيرهم ممن اشتهر بالاجتهاد من غير أئمة المذاهب

فرد منا حده فيقف عنده وبالجملة فان كل كلمة فى القرآن فيها هدى للمؤمنين وينبغي تفهيمها للمسلين . ورب قائل يقول ان كثيراً من الائمة الافاضل من علماء السلف والخلف عنو بتفسير القرآن وبيان حكمه واسراره ولم يبق علينا الا الرجوع لما فسروه فنجيب عن هـذا ان فى القرآن من الاسرار والحكم مالا يبلغه عقل واحد او آحاد من علماء المسلمين ومع هذا فان فن التفسير يكاد لا يتجاوز مطويات الـكتب لضن علمائنا بتدريسه الا فى حلقات الدروس الخاصة كما ان هـذا التدريس نفسه عند معظم من رأيناه من المدرسين قاصر على الاشتغال باللفظ دون المعنى أو التقيد البحث بما يقوله المفسر مهما كان قليل مادة البيان وليس هذا شأن العلماء فى بيان أحكام الله وتفهيم كتابه للناس ولو كان ثمت علم حقيق أو عناية بشأن المسلمين والاسلام مع وجود هـذا الـكتاب الذي هو امام المؤمنين وهدى للعالمين لما وقعنا فى هذا الخسران المبين . والاَّ فما هو هذا الحال الذى أصبح عليه المسلمون من الجهل بالحقوق والواجبات من الخنوع لظلم الظالمين واستبعاد المتغلبة والفاتحين من الانحطاط فى المعارف من الانحطاط فى الاخلاق من التخلف وراء سائر الأمم الحية فى هذا العصر بسائر لوازم الحياة الاجتماعية ودواعي المجد والعزة الى وصفهم الله تعالى بها بقوله (ولـكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) وما سبب هذا الحال هل هو الدين كما يفتريه عليه اعداؤه من الامم الاخرى معاذ الله لا نخال ان أحداً من المسلمين يقول بهذا وعنده ذرة من العقل والايمان وانما هو قصور علمائنا بوعظ الامة بالقرآن وبيانه حق البيان وتقصيرهم فى مطاردة البدع والمبتدعين والاخذ على أيدى البغاة والظالمين واطلاقهم لاعنة طغمة الوعاظ والمتطفلين على العلم فى وعظ عامة الناس وارشادهم بكتب مملوءة من الـكذب على الله

والرسول ومن المواعظ التى أضلت العقول والصقت بالاسلام من البدع ماليس منه

ومنها الاعتقاد بباب الارادة بما يشبه الجبر وان الانسان مساق فى اعماله كالبهيمة العجماء لا ارادة له ولا اختيار مما ينافى التكليف وينسب العبث الى اصل التشريع . ومنها الاعتقاد بسلطة غير سلطة الخالق على الخلق . ومنها الاعتقاد بما يشبه الاباحة ومنشاوه التغالى فى الترغيب وجله بموضوعات الحديث كقولهم من صام من رجب كذا كتب له من الحسنات كذا وكذا ومن فعل كذا سقط عنه من السيئات كذا وكذا ولا يخفى مافى هذا وامثاله من الاستدراج للعامة فى الشرور والمعاصى اعتماداً منهم على ان صيام ثلاثة ايام من رجب مثلا تمحو كل ماتقدم لاحدهم من السيئات مع ان الشريعة وان جاءت باصول الترغيب لكن على وجه لا يعبث باحكام الفطرة فى تعديل ملكات الشر عند الانسان ولهذا جاء بازاء الترغيب الترهيب أيضاً كى لا يتناهى الانسان فى عقيدة الرجاء فينجر الى عقيدة الاباحة ولا يتناهى فى الخوف فينجر الى اليأس من رحمة الله ثم الاستدراج فى الشرور . وقد تنزهت حكمة الله سبحانه وتعالى في ارشاد الخلق عن أمثال مايلقيه فى روع الناس عامة الوعاظ المتشدقين والخطباء الجاهلين من الترهات والاضاليل التى يشهد انحطاط اخلاق المسلمين بانها ليست من الاسلام الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاتمام مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال والا فاين هم الآن من الصدق فى المعاملات الذى كان شعار المسلمين دون سائر الامم . واين هم الان من المناصحة فى الدين ونبذ النفاق والمداهنة والمداهنين واين هم من الائتلاف والبعد عن الشقاق والاختلاف . واين هم من الاتحاد

على جاب المصالح ودفع المضار . واين هم من معرفة حقيقة مايرمى اليه الدين من اعلان شأن الحق والاخذ بالحقائق واطراح الاوهام اظهاراً لهـذا الدين على الدين كله ونهوضاً باتباعه الى قمة المجد والسيادة على سائر الناس . بل اين هم من قوله تعالى (فلتكن منكم أمة الآية . واين علماؤهم فى هذا العصر من قوله تعالى (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس) وقد نكثوا مع الله هـذا العهد وتركوا الوعاظ فى أضاليلهم والامراء فى عتوهم والخاصة فى جهلهم والعامة فى غلوائهم حتى اصبحت الامة فوضى فى الاخلاق والسياسة يرميها الاعداء بكل وصمة ويأخذها المغالبة والفاتحون من كل صوب وكأنما هى فى بحران او ليست من عالم الارض

تالله ليس هذا مراد الدين ولا بمثل هذه الحال قام الاسلام وارتفع شأن المسلمين واذا استمر هـذا الحال قليلا مع حرج الوقت وتناهى ضعف الامة كان به هلاكها وتدميرها والعياذ بالله تعالى

وليعلم العلماء انهم هم المسؤلون عن هـذا الحيف المحيق بالمسلمين لانهم هداة الامة وحملة الكتاب والسنة وان مداهنتهم للامراء ومجاراتهم لافكار العامة وسكوتهم على هذه الحال وجمودهم ذلك الجمود لايغنيهم عن التبعة امام الله شيئاً وان الدور دار والايام غير الايام والعصر أشد العصور حرجا على المسلمين واحوجها على العناية بهدي الكتاب والسنة وبث تعليمهما الصحيح بين الناس وحسبهم في تكفير ولعن واستجهال من يطلب منهم المناصحة فى الدين وتوسيع النظر في حقائق الاسلام وتطبيقها على أحوال المسلمين ما أصابهم من انحطاط الشأن فى نظر جمهور العقلاء وما أصاب الامـة من فوضى العقول والاخلاق من جراء ذلك البلاء

قلنا ان هذا العصر أصبح اشد العصور حرجا على المسلمين وذلك من وجهين الدنيا والدين فامّا حرجه من جهة الدنيا فلضعف العلوم الدنيوية عند المسلمين واخصها علوم المعائش والصناعات كالطب والكيمياء والهندسة والحساب ونحوها وازدهاء هذه العلوم ونموها عند الغربيين واستلائهم بسبب هذا على سائر مصادر الثروة التى كانت للمسلمين ثم تذرعهم بضعف هذه الامة الى امتلاك جميع الممالك الشرقية اسلامية كانت أو غير اسلامية وهو ماينذر بويل عظيم وعناء كبير يلم بالمسلمين (١) كما ألم بغيرهم من الامم المستعبدة للاوربيين

(١) لايخفى على ذى بصيرة ان الاسلام يأمر أهله بحماية كل من ينضوى تحت رايته ويخضع لسلطانه خصوصاً من أهل الكتاب لهذا استمر المسيحيون منذ الفتح الاسلامي الى الآن آمنين فى مواطنهم متمتعين بحريتهم لا يكرهون على الاسلام ولا يلجأون الى الهجرة لبلاد الفرنج بوسائل العسف والظلم وهذا أجمل تاريخ للاسلام يسجل على صفحات الزمان الى الابد ويشهد بعظيم فضل الله سبحانه وتعالى على الامم بهذا الدين العادل واما الفرنج فانهم لما كانوا يسوسون الامم الخاضعة لسلطانهم القاهر بقانون العقل التابع لاغراض النفوس وشهواتها فانه لايرجي منهم ادنى حماية لحقوق المسلمين الذين دخلوا تحت سلطانهم في أى بقعة من الارض بل بالعكس بدليل مانراه من مهاجرة المسلمين المستمرة الى الممالك العثمانية هربا من جور الحكم الاوربى عليهم جوراً لاينتظر سواه من أمم تجردت عن كل شعور ديني واحساس انساني وهذا هو العناء الشامل الذى يتوقع لعامة المسلمين ونحذرهم من الوقوع فيه اذا لم ينتبهوا من رقدتهم ويناجوا ضمائرهم فيما اصاب فريقاً منهم من تغلب الدول المسيحية عليهم حتى أخذوا بالهجرة والانقراض وأخذ ظل الاسلام يتقلص معهم من اطراف الارض خصوصاً من الجزائر فى افريقيا والبلقان فى اوربا . ومن العار والفضيحة على الخلف ان يتقلص فى عصره ظل الاسلام عن بلاد دوخها لهم السلف وشيد فيها دعائم الدين الحنيف بما بذل من الدماء والاموال وما صرف من العناية والجهد فرحم الله نفوساً عانت مشاق العمل وكافحت كل

هذا اذا لم ينتبهوا من غفلتهم ويهبوا من رقدتهم فيتلافوا هذا الخطر المحدق بهم بقوة العقل والتدبير ونبذ التعصب للعادة واطراح الاخلاد الى الوساوس والاوهام

واما حرجه من جهة الدين فلكون المسلمين الآن قد اصبحوا فريقين فريقاً مشوش العقيدة من كثرة ما لصق بها من البدع الوثنية مستسلماً للخرافات والاوهام منحط المدارك والاخلاق لسوء التربية والتعليم. وفريقاً استنار بنور العلوم العصرية وادرك حقائق الوجود ثم لما رأى ما اصبح عليه عامة المسلمين من الخلود الى الاوهام والتناهي فى فساد ملكات العلم بما يحيط بهم فى هذا الوجود ظن أن هذا أثر من آثار الدين ظاهر على اعمال المسلمين فنبذه ظهريا واتخذ اهله سخريا اذ لا حكيم يرشده الى خطأ ظنه بطريق العقل ولا عالم يستهديه فيهديه بصحيح النقل وهذا منتهي الوهن فى الدين اذ اصبح العامة والمتنورون من اهله فى ضلال مبين

على اننا الآن فى فسحة من الامل وفرصة للعمل اذا انتهزناها نجونا وفزنا واذا اغفلناها هلكنا فان الغربيين يرون المسلمين الان عثرة فى سبيلهم فى انحاء المشرق ويودون الاجهاز على البقية المستقلة منهم فاذا تمهدت لهم (لا سمح الله) الى هذا السبيل الاسباب وسهلوا الصعاب يغلون الايدى ويختمون على الافواه ومن ثم تحل الندامة حيث لا ينفع الندم فالله المسؤل ان يهدينا لسلوك اقرب سبيل للنجاة من العدم

اذا تقرر هذا وعلمنا ان العلماء هم الملومون على ما أصاب الامة واليوم

بقايا الاجيال الغابرة فى سبيل تعميم الدين الحنيف فى مشارق الارض ومغاربها حتى كانت كلمتها هي العليا وكان الدين كله لله وأما الآن .... فلاحول ولاقوة الا بالله

يرجع الامر فى ارشادها الى سبيل النجاة والسعادة تحتم علينا ان نلتمس منهم اموراً اذا أحلوها محل النظر وحملوها على محمل الاخلاص فى النصيحة أفادوا أنفسهم والمسلمين والا فلا نزال ويزالون فى تقهقر مستمر ولله الامر

وأما تلك الامور فهى ترجع كلها الى تصحيح التعليم ومنها اتقان اللغة حق الاتقان بطريقة تكفى لفهم الكتاب والسنة بدون تضييع العمر في استخراج الدقائق اللفظية والمماحكات النحوية الا لمن شاء ان يتفرد بذلك

ومنها التخفيف من حمل الحواشى والشروح والاعتماد على الكفاية من كل فن

ومنها الرجوع الى تحقيقات السلف والعمل بالكتاب والسنة عند تعارض الاقوال وقلق الافكار . ومنها الاستغناء عن كثير من مؤلفات المتأخرين وحواشيهم التى يضطرب فيها العقل ولا تنتهى الى غاية يستفيد منها الطالب كما هو مشاهد الآن اذ مؤلفات السلف على اختصارها وتحقيقها كانت تستفيد منها العقول وتنشأ عليها ناشئة الفضل من علماء الأمة الكبار وأئمتها العظام دون ان تحتاج الى امثال هذه الحواشى التى انتجها اضطراب حبل التعليم فى القرون المتأخرة

ومنها الاحاطة بشىء من العلوم الدنيوية كالهندسة والحساب والفلك والجغرافيا ونحوها أولا لما لكثير من هذه العلوم من العلاقة بالدين وثانيا لانها تساعد العلماء على دفع الشبه التى تلصق بضمائر الناشئة وتجعلهم على بينة مما يقولون لا كمن يهرفون بما لا يعرفون ويصادمون بجهلهم أحكام الحس امام فريق الناشئين فى مدارس العصر الواقفين على حقائق الوجود الذين اضطربت ضمائرهم بأحوال الطبيعة ويحتاجون لمرشد حكيم يرشدهم الى ان الطبيعة وما فيها كله داخل تحت حكم القدرة الالهية التى تتصرف بهذا الكون على أبدع

نظام وترتيب وان كتاب الله الكريم يشير الى ذلك وينبه عليه ويرشد عقل الحائر اليه . ومنها وضع كتب للوعاظ مبرءة عن الكذب على الله والرسول خالية من الاسرائليات التى تصادم أحكام العقل ويود الخلاص منها علماء بنى اسرائيل فى هذا العصر ونحن لانزال بها ولعين [1] وعلى الصاقها بالاسلام جاهدين . وان تكون هذه الكتب نقية من شوائب الجبر والاباحة والتزهيد فى الدنيا وسطاً فى تعليم سنن الدين وفرائضه غير مشوبة بشئ من التنطع تشديداً فى الدين وتنفيراً للقلوب بتكليف مالايطاق فان الله سبحانه وتعالى أعلم بحال عباده وأرأف بخلقه لهذا جعل الاسلام دين اليسر [2] ولم يكلف نفساً الا وسعها ولما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عمن يصوم الدهر فقال

---

(١) وذلك كتحديد عمر الارض وتاريخ الخليقة الذي كذبه الحس الآن ولم يتعرض لتعيين شئ منه القرآن وألصقه بعضهم ظلماً وافتراء بالاسلام

(٢) ان الله جلت حكمته قد جعل لكل أمة مشربا ولكل زمان مقتضيات كانت شرائعه السامية تأتى بالتكاليف بما يوافق تلك المقتضيات فى تعديل اخلاق الامم فالمسيحية مثلا انما جاءت باصول الرهبانية والزهد لما كان الرومان من التناهى في حب الترف والاستغراق فى الشهوات على جانب عظيم لايمحوا أثره من النفوس الا قهرها بطول العبادة وتصغير أمر الدنيا فى نظر العقل وهكذا حال كل شريعة من الشرائع الالهية في مراعاة حاجة الزمان والانسان وقد بسطنا هذا مفصلا في رسالتنا المسماة (بيان انتشار الاديان) فليراجعها من أحب الوقوف عليه وأما الاسلام فلما انه خاتمة الشرائع الالهية فقد جاءت تكاليفه موافقة لعصره ولكل أمة وعصر لمبناها على أصل مهم وهو العدل في كل ماندبت اليه الشريعة وأوجبته من الاعمال جسمية كانت أو روحية فنسخت بهذا أصول التشديد التي كانت في الشرائع السابقة لهذا قال الله تعالى في كتابه الكريم (وما جعلنا عليكم في الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر)

لا صام ولا أفطر فقيل كيف بمن يصوم يومين ويفطر يوما قال أو يطيق ذلك أحد خرجه مسلم فى صحيحه . ونقله امام عصره أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني فى كتابه ايثار الحق على الخلق المطبوع حديثاً فى مصر فى فصل طويل عقده فيه تحت عنوان — ان الله تعالى لا يكلف مالا يطاق — فليراجعه من أحب الوقوف عليه فان فيه مايشفى الغليل ويزيل علة العليل من هذا القبيل . وان تكون هذه الكتب أيضاً مشتملة على شئ من سيرة الصحابة والتابعين لا فيما يتعلق بالزهد فقط بل فيما يتعلق بالجد والاجتهاد وخدمة الامة بمجموعها والاشخاص بمفردهم وان تكون مرشدة الى مكارم الاخلاق بطريقة عملية تمثل خلق الكذب مثلا وما ينشأ عنه من المضار في الدنيا والنقص فى الدين وخلق الصدق وما يترتب عليه من تبادل الثقة بين الناس وانتظام أعمالهم الدنيوية ومعاملتهم التجارية وتؤهلهم للزلفى من الله فى الحياة الابدية

هذا ما نطلبه من العلماء ونضيف عليه وجوب عنايتهم بانتقاء الوعاظ والخطباء بحيث يكونوا من افاضل الامة العارفين بحالة العصر الحافظين لشئ من الكتاب والسنة الصحيحة الواقفين على ما يناسب كل بلد وكل قوم وكل زمان وان يهجروا دواوين الخطب التى تتلى على منابر المسلمين بمعنى واحد

وقال تعالي (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) وقد غفل عن هذه القاعدة كثير من العلماء فأحرجوا الامة بوضعهم الندب فى مرتبة الايجاب والنوافل فى مرتبة الفروض حتي أخرجوها عن الحدود فاختلط عليها الامر وتناست فرائض الدين الا قليلا منها كالصلاة التي كادت تكون عند بعضهم كالعادة فقط لا تنهى عن فحشاء ولا منكر بدليل مانراه عند عامة المسلمين من التهافت على المنكرات وفساد العقيدة والاخلاق وانحطاط المدارك عن فهم ماهي الصلاة وما هو الدين . فاللهم غوثا بمن يعيد لنا سنة السلف الصالحين ويضع لنا كتبا نقية من شوائب الحشو فى الدين

يتكرر على الاسماع كل جمعة ولا تزيد السامعين الا خبالا لما فى هذه الدواوين من الحشو المضر والاحاديث الموضوعة والاسجاع الثقيلة على الاسماع التى يشمئز منها كل عاقل لبيب لعلمه بانها أصبحت من قبيل العادة التى لا تفيد اليوم أكثر مما أفادته بالامس مع انها أمر مشروع لتجدد الكلام بتجدد الحاجة الى ما فيه أي مصلحة للمسلمين

ربما يزعم بعضهم ان من الامراء من لا يرضى بتغيير هذه الخطب بما يناسب حالة الوقت وتدعوا اليه الحاجة وان كانت مشروعة لهذا القصد ولا يبيح للمدرسين تعليم أمور الدين بأوسع مما يتعلمه العامة لاسباب تقتضيها سنة الاستبداد لا يجهلها من المحكومين بهؤلاء الامراء انسان فنجيب عن هذا ان سلطة الشريعة أنفذ الى القلوب وسلطانها فوق كل سلطان والعلماء هم حملتها ومنفذوا أمرها فاذا راقبوا الله أكثر من مراقبتهم لارباب السلطان من بنى الانسان وكانوا على يقين صادق بان الله أحق بالخشية وأوامره أولى بالاتباع نصرهم عامة المؤمنين عند أى دعاء يدعون به باسم الدين ونحن نضرب لهم مثلا حادث احتكار التبغ الذي حدث من بضع سنين فى بلاد الفرس وكيف ان العلماء ثمة أفسدوا على شركة الاحتكار عملها باسم الدين بلا جلبة ولا ضوضاء بل بمجرد صدور فتوى من أحد المجتهدين (وهو الملا حسن مرزا) تحرم استعمال التبغ وزرعه على المسلمين حتى كان من ائتمار الامة بامر ذلك العالم ان الشاه طلب فى صباح اليوم الذى وصل به الى طهران خبر الفتوى المذكورة (شيشة) فى قصره ليدخن بها فاجيب بعدم وجود شيشة فى كل القصر وانها رفعت جميعاً بسبب ذلك التحريم

فهل بعد هذا من حجة لعلمائنا الكرام اذا اتقوا الله حق تقواه ولم يراقبو

باعمالهم الا الله لانه سبحانه ولي المتقين . نعم نحن نعلم ان في علمائنا افراداً يودون تغيير هذه الحال واصلاح شؤون الامة باصلاح طريق التعليم ولا يخلو منهم مصر من الامصار ولو مع الندرة ولكنهم مع هذا فريقان فريق غلب عليه اليأس فطوى جناح الشكوى على ألم وهو يحرق الأرم وفريق ضعيف الارادة لا يثبت ثبات أولي العزائم في اعلان الحق اذا هب عليه جهلة المتعممين انتصاراً للعادة والتقاليد أو مجاراة لافكار العامة أو لان مثلهم كمثل ساكن كهف لا يعرف من هذا الوجود الا ما أحاط به من الجدران نخسر بصره وعميت بصيرته عما انتهى اليه حال المسلمين والاسلام فاصبح كالخفاش يضر ببصره النور ويضله الضياء فلا حول ولا قوة الا بالله وهو وليّ المهتدين



خطأ	صواب	صحيفة	سطر
فعال	فعل	١٣	٧
والاتحاد	والاتجار	١٢	١٤
ويعلمون	ويعملون	١٤	١٢
ورفع	ودفع	١٩	١٤
عصبة	عصبية	٢٠	٠٢
عصبة	عصبية	٢٠	٢١
جماع	جميع	٢١	٠٩
البعث	العبث	٢٧	٠٢
القات	القاب	٢٨	٠١
هفاه	هذه	٢٩	١٩
المدينة	المدنية	٣٠	١٨
عضد	عند	٣١	١٢
فرفعوا	فرفعوا	٣٢	٠٢
ومدينة	ومدنية	٣٢	٠٤
رادت	زادت	٣٢	١٧
الطرف	التطرف	٣٦	٠٢
الناب	الباب	٣٦	٠٦
المغامزا	المغامز	٣٧	٠٢
والثناء	[illegible]ناء	٣٨	٠٣
وهل	وهل من	٣٨	١٨

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
بالفقول	بالعقول	٣٩	١٣
وكتلن	ولتكن	٤٨	٠٣
وقامة	واقامة	٤٩	١٠
فليغره	فليغيره	٤٩	١٤
الجاعات	الجماعات	٥٣	٠٢
فالبحث	فالبحث	٥٦	٠١
وانتسار	وانتشار	٥٧	١٣
لاندوي	لاندري	٥٨	١٥
البحث	البحث	٦١	٠٣
والمتحكم	والتحكم	٦٢	١٢

